BOBST LIBRARY
3 1142 01861 7061

Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

J. Maynul Hoque VIII
Le Mamba octobre 1956

ابنُ جَلا

/Ibn Jalā/

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى — سنة ١٩٥١

Taymūr, Maḥmūd
"
X3
169
/Ibn Jalā/

محمود تيمور

ابن جلا

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

P.J
7864
.A5
I3
c.2

أشخاص المسرحية

الحَجَّاج بن يُوسُف : أحد الولاة فى دولة « بنى أمية » ، قوى الشكيمة ، عليه مهابة . لم يكن مبسوط الجسم ، ولا قوى البنية ، وإنه لأخفش العينين ، فى ساقيه التواء . وتراه ولوعا بأن يتخذ لزيه ما يتميز به عن نظرائه ، ويجعل غطاء رأسه الطراطير الطويلة والقلانس يلوث عليها العمائم الخضر أو الحمر ، ورعا بدا متلثما بعمامته . إذا تكلم بدأ صوته خافتا ، ثم صار جهوريا مجلجلا .

عبد الملِك بن مَرْوان : الخليفة الأموى .

محمد بن مَرْوان : أخو الخليفة ، وأحد المقدمين من قواده .

بِشْر بن مَرْوان : أخو الخليفة ، وأحد الولاة .

عبدالله بن يزيد بن معاوية
خالد بن يزيد بن معاوية } أخوان ، من ذوى قرابة الخليفة .

رَوْحُ بن زِنْبَاع : وزير الخليفة وصفيه .

الأهوازية : فتاة حسناء ، مشبوبة العاطفة ، تستبد بها روح المغامرة .

طارق بن عمرو : قائد من قواد الخليفة فى (الحجاز) .

ابن مسعود : تابع (الحجاج) المختص به ، ورسوله ، وجاسوسه .

ابن حَكِيم : شيخ هرم ، من أهل (الطائف) .

عَفْـــــراء : بنت (ابن حكيم) ، امرأة من نساء (الطائف) حسناء ، فى أوج الشباب .

عُمَر بن أبى رَبِيعة : الشاعر الغزل ، ذو النعمة والترف ، فى نحو الخمسين من عمره .

أم حَبيب : قهرمانة قصر (الحجاج) فى المدينة .

عُبَيْد الله بن مَوْهب : كبير حاشية (الحجاج) فى (الحجاز) .

عبد الله بن جعفر : شيخ من أشراف (الحجاز) ، وسيد من سادة الطالبيين ، جاوز السبعين من عمره .

عَنْبَسَة بن سعيد : صفى (الحجاج) فى (العراق) ، أنيس الروح ، بعيد النظر .

عبد الرحمن بن عُبَيْد التميمى : صاحب شرطة (الحجاج) فى (العراق) .

أبو بُرْدَة بن أبي موسى الأشعرى : تقى ورع ، تتوضح فيه سلامة النية ، أبعد ما يكون عن التجيل والمخاتلة ، من عادته أن يصفر شعره على نحو ما كان يصنع أهل السنة .

عُمَيْر بن ضَابِئ البُرْجُمى : زعيم قومه فى (الكوفة) ، شيخ علت به السن .

شَبِيب الخارجىّ : رأس من رءوس الخوارج ، يتوقد ذكاء وحمية . يحاكى فى ملبسه النساك والزهاد .

غَزالة : زوج (شبيب) وشريكته فى جهاده .

جَهِيزَة : أم (شبيب) ، رومية الأصل ، ويقال إنها حمراء ، خاضت مع ابنها وقائعه .

بَهْرُوز : خصى فى قصر (الحجاج) بمدينته (واسط) .

يَزِيد بن أبى مُسْلِم : كاتب (الحجاج) فى ولايته (للعراق) . قصير دميم ، عظيم البطن ، تحتقره العين . يبارى (الحجاج) فى سطوته وعنفه .

تِيَاذُوق : طبيب (الحجاج) فى (العراق) ، كان طبيباً (لكسرى) من قبل . نيف على التسعين .

فُرات : تلميذ (تياذوق) وخليفته فى تطبيب (الحجاج) .

رسول « قُتَيْبَة » : فتى من أعوان (قتيبة بن مسلم) والى (خراسان) وصاحب الفتوح بها .

سعيد بن جُبَيْر : إمام من أئمة الدين ، هو أوسع الفقهاء شهرة بين عامة الناس . حبشى الأصل ، فى الخمسين من عمره .

الأعرابى : رجل تجتمع له خصائص أهل البادية ، من صراحة الرأى وبساطة النفس .

جند — أحراس — أتباع — سيّافون — قُرّاء — غانيات

الفصل الأول

ضحوة يوم من أيام العام الثانى والسبعين للهجرة ، الموافق لعام الميلادى ٦٩١ .

رمض من أرباض « دمشق » ، ضرب فيه فسطاط عليه الرايات البيض ، شعار « بنى أمية » .

فى الفسطاط « عبد الملك بن مروان » الخليفة الأموى ، وأخواه : « محمد » و « بشر » ، وكذلك « عبد الله بن يزيد ابن معاوية » وأخوه « خالد » .

« عبد الملك » أمام فرجة فى الفسطاط ، يرقب كيف تضرب أعناق الذين ائتمروا به ليقتلوه .

صوت (من وراء الفسطاط) : الله أكبر !

صليل أسياف تستل من أغمادها لتتهاوى على الأعناق .

ضجة وتصايح .

هاتفون (من وراء الفسطاط) : نَصَرَ الله الخليفة . . .

أعزَّ الله دولةَ « بنى أُميَّةَ » !

« عبد الملك » يتجافى عن الفرجة ، وفى وجهه عبوس وتقطيب .

عبد الملِك (مهمهماً) : كبير على نفسى أن تُطِيحَ الأسيافُ هذه الأعناقَ !

محمد : بِعدلٍ حكمتَ يا أمير المؤمنين .

عبد الملك : حقًّا حكمتُ بعدل ، ولكنى قَسَوْت .

بِشْر : فى قسوتك صلاح لعامَّةِ الناس . وهل كان هناك سبيل إلى الرِّفْقِ بمن أرادوا قَتْلَ الخليفة ؟

عبد الله : لقد اصطفاك الله ليجمعَ بك شمْل المسلمين ، ويؤيدَ بك كلمةَ الدين ، فقد أصبحت الأمةُ الإسلاميَّة أشتاتاً يتناهبُ الطامعون رِقاعَها ، فيَعِيثُونَ فيها فسادا .

عبد الملك : لن أُقِرَّ سيفى فى غِمْده حتى تنبسطَ دولةُ « دِمَشْقَ » فيقضىَ سلطانُها على « آل الزُّبَيْر » .

محمد : تلك هى « الشام » قد أخلصتْ لك البَيْعَة ، وأحسنت لك الطاعة ، وغداً تنقاد لك « العراق » و« الحجاز » ... طِبْ نفساً ، فالله لاشكَّ ناصِرُكَ .

خالد : لقد قضيتَ على كثير ممن فَسَقُوا عن أمرك . وأما الروم فقد انعقدتْ بينك وبينها الهُدْنة ، وها أنت ذا سلطانُك مستتِبّ ، والأمنُ من حولك موفور .

بِشر : ها نحن أُولاء نتأهَّب لاقتحام « العراق » ... اليوم يومُ « مُصْعَب » !

عبد الملك : تالله إنه لعزيز علىَّ أن أقاتلَ « مُصْعَبا » وقد كان لى بالأمس صَفِيًّا .. ما دار فى خَلَدِى أن تتعادَى يوما !

عبد الله : على نفسِه جَنَى « مُصْعَب » ، فإنك لم تَخُنْ له عهداً ، ولم تَأْلُهُ وُدّا . بذلتَ له الأمان ، ووعَدْتَه الولايةَ ، ولكنه أبَى كلَّ الإباء ، وتمادَى فى العِداء ، يحرِّضُه أخوه الثعلبُ المحتَمِى « بمكة » .

بشر : « عبد الله » أصل البليَّة ، وجُرثومة الشرّ . . . .
وإن يومَه لآتٍ لا ريبَ فيه .

عبد الملك (لمحمد بن مروان) : هل العسكر على أُهْبَة الرحيل ؟

محمد : هم فى تمام أُهْبَتهم ، فإن أذِنتَ لهم ساروا .

تسمع من وراء الفسطاط جلبة وضوضاء .

عبد الملك (لمحمد بن مروان) : ما خَطْبُ هذا يا « محمد » ؟

خالد (يتطلع من الفرجة ، ثم يقول) : أكبرُ الظنِّ أن جماعةً من العسكر يتشاكسون ، كدأبهم ، وكما عَهِدْنا من أمرهم .

عبد الملك (لمحمد بن مروان) : أهؤلاء هم العسكر المتأهِّبون للرحيل؟ أَلَمَّا ينتظمْ لهم أمر ، ويَفْرُغْ لهم خلاف ؟

محمد : إنهم ملازمون للطاعة ، يفعلون ما يُؤْمَرون .

بِشْر : بل هم كُسالَى متواكِلُونَ ، إذا قلنا لهم : هَلُمُّوا وقفوا ،

وإذا قلنا لهم : هَيَّا تخلَّفوا ، وإن سِرنا قالوا : إنا هٰهنا قاعدون !

عبد الملك : أبهؤلاء العسكر تَنْفُذُ لنا خُطَّة، ويتمُّ لنا مراد ؟

عبد الله : لقد أذقتموهم حلاوةَ الدَّعَة، وأرخيتُمْ لهم عِنانَ التَّرَف، فانتشرَ عليكم أمرُهم ، وأفلتَ منكم قيادُهم . فأَرُوهم صَرامة الجد ، وبأسَ الحزم ، تستقمْ لكم قَنَاتُهم ، وتصيبوا بهم ما تريدون .

عبد الملك (لمحمد بن مروان) : أسامعٌ أنتَ ما قال « عبدُ الله » يا أميرَ العسكر ؟

الجلبة من وراء الفسطاط تشتد .

محمد (لعبد الملك بن مروان) : يأذَن لى الخليفةُ أن أَمْضِيَ لأتيينَ الأمر .

عبد الملك (لمحمد بن مروان) : اذهبْ فعُد إلىَّ وَشِيكا لتُخْبِرَنى بما هنالك .

ينصرف « محمد بن مروان » .
يقبل «روح بن زنباع» مغضباً .

رَوْح : إليك يا أميرَ المؤمنين أشكو رجلا من رجالك ، أساء إلى أعوانى من العسكر ، فلم يعرفْ لى حقًّا ، ولم يَرْعَ لى حُرْمة ... إليك أشكو ذلك الأسودَ الأخفشَ الدَّمِيم !

عبد الملك : من ذاك يا « رَوْحُ » ؟

رَوْح : ذاك « ابنُ يوسُف » .

عبد الملك : تريد « الحَجَّاج » ؟

رَوْح : هو يا أمير المؤمنين ... لقد أهانني بما فعل .

عبد الملك : أَعْجَبُ كيف يُسَوِّغُ لنفسه أن يُهينَك ، وقد نَصَبْتَه رئيساً على شُرْطَتِك ، وأنتَ الذى رَشَّحْتَ به لكى يتولَّى أمرَ عسكرِى ؟ !

رَوْح : لم أكن أعلم أنه شِرِّير شَغُوب ، يُذْكِى فى صفوف

الجند بواعثَ العداوة والبغضاء ، ونحنُ أحوَجُ ما نكون إلى تأليفِ القلوب .

عبد الملك : ساء اختيارُكَ له إذن يا « رَوْحُ » . . . فَلْيُدْعَ « الحجَّاجُ » .

يشير إلى حرسى أن يأتى بـ « الحجاج » .
يخرج الحرسى مسرعا .

رَوْح : الآنَ أدركتُ خطئى فى تقريبه إليك ، وكان عَلَىَّ أن أَخْبُرَه قبل أن أتَخيَّره . . . هذا رجل وَضِيع رفعنا مكانَه ، وإن نفسَه لتَسيلُ حِقْداً على الناس .

خالد : لا تثريبَ على « الحجَّاج » فى تطاوُلِه . . . أَمْسُه مُنْبِئٌ عن يومه . . . ماذا أنتم طالبون إلى مُعَلِّمِ صِبْيان ؟

عبد الله : وفى أصله دَلالةٌ على طبعه . . . أهلُه فى «الطائف» : على أكتافهم كانوا يَنْقُلُونَ الحجارة ، وبأيديهم كانوا يَحْفِرُون المَنَاهِل .

« عبد الملك بن مروان » مصغ بشم لحيته ، ويصعد أنفاسه .

بِشْر : والعجيب من أمره أنه يعتزُّ بقومه من « ثَقِيف » ، ويتمدَّحُ بما له من مَنَاسِبَ وأصول !

يقدم الحرسى الذى أرسله « عبد الملك بن مروان » .

الحَرَسِىّ : « الحَجَّاج » بالباب .

عبد الملك : عَلَىَّ به .

يقدم « الحجاج » رابط الجأش ، بادياً على محياه الاعتداد بالنفس ، مرتدياً لبوس رئيس الشرطة فى مغالاة تسترعى الأنظار ، وفى يده سوط من جلد مضفور ، فإذا لمح الخليفة حياه تحية توقير وإعظام .

عبد الملك : أأنتَ تُوغِرُ صدورَ الجند ، وتؤجِّج فى نفوسهم نار البغضاء ؟

الحَجّاج : بل إنى أُحْكِمُ زِمام الجند ، أُخْمِدُ فيهم جَذْوَةَ الفتنة ، وأُلْزِمُهم جانبَ الطاعة .

رَوْح (للحجاج) : لقد عَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وحَسِبْتَ أنك لا حسابَ عليك ، ولا معقِّبَ لك .

الحجاج : ما كان منى شىء أُلام عليه .

رَوْح : ألم تُحْرِق فَسَاطِيطى ؟ أَوَلَمْ تجلِدْ جنودى ؟

عبد الملك : أجَرُؤتَ على أن تفعلَ ذلك بجند وزيرِنا «رَوْح» ؟

الحجاج (جهير الصوت ، رافعاً يده) : أقسمتُ ما فعلتُ !

رَوْح (مدهوشاً) : الويلُ للكاذب الأثيم . . .

عبد الملك : عجباً ! فمن أحرقَ الفساطيط ، وجَلَدَ الجنود ؟

الحجّاج : أَنْتَ يا أمير المؤمنين الذى فعلَ هذا !

مهمهمة بين الجمع .

عبد الملك : لا ريبَ أنك محموم تَهْذِى يا رجل .

الحجاج : ألستُ أنا قد توليتُ أمرَ عسكرِك ، أستمدُّ سلطانى منكَ ؟ إنما يدى يدُك ، وسوطى سوطُك . وهؤلاء

الجند لا يستقيم لهم أمر إلا بتدبيرٍ حازم حكيم ، حتى تكونَ عقوبةُ العاصى عبرةً لمن تُحَدِّثُه نفسه بعصيان .

رَوْح (للحجاج) : ما هذا التشدُّق وتزويرُ المَقَال ؟ إنها فساطيطى أحرقتَها ، وإنهم غِلمانى نِلْتَهم بِعُدْوان .

الحجَّاج (لعبد الملك بن مروان) : لقد ألقيتُ إلى العسكر أمرى أن يتهيَّأوا للرحيل فأذعنَ جمعُهم للأمر ، وشَذَّ هؤلاء لم يُذْعِنوا ، ولكن تشاغَلوا بالطعام ، وتكاسَلُوا عن التأهُّب ، فشددتُ عليهم شَدَّة لم يكن منها بُدّ ، خشيةَ أن يحذوَ حذوَهم سائرُ الجند . وإن أميرَ المؤمنين قادر على أن يعوِّضَ وزيرَه « رَوْحا » من الفُسطاط فُسْطَاطَين ، ومن الغلام غلامَين ، ولا يَكْسِرَنى فيما قَدَّمنى له .

« عبد الملك بن مروان » مطرق يفكر، وهو يشم لحيته ، ويصعد أنفاسه ، وقد بدا عليه أنه أقر صنيع « الحجاج » واستنام لخطته .

تنبعث استغاثة من صوت نسوى وراء الفسطاط.

صوت نِسْوِىّ (يصيح) : افْسَحوا الى طريق أرفعْ إلى الخليفةِ ظُلَامتى .

تهل ذات لثام ، ومن حولها الشرط يمنعونها أن تدخل .

عبد الملك : من هذه ؟ وماذا تبغى ؟

ذات اللِّثَام : جئتُ أشكو إلى الخليفة وزيرَه « رَوحا » هذا !

تشير إلى « روح بن زنباع » فيدهش .

عبد الملك : من تكونين ؟

ذات اللِّثَام : إنى أهوازية أتولَّى سِقَايَةَ الجند من أعوانِ « رَوْح » ، وإنه لشديد القساوة ، يستضعف النساء ، ويكسوهنّ ثوباً من المهانة والإذلال . . . إنه ليَخْمِش وجوههن فيُوسعها تشويها !

تحسر اللثام عن وجهها فيبدو فيه جرح يدمى .
الجمع يستنكرون ما شهدوا .
« روح بن زنباع » فى حيرة بالغة .
« الأهوازية » تلتفت إلى « روح » فتواجهه بقولها :

ألم يكنْ ذلك منك ؟ أتنكِرُ ؟

رَوْح (يضرب إحدى يديه بالأخرى) : ألا تستحين أن تَفْتَرى عَلَىَّ كذبا ؟

« الحجاج » يتفحص الفتاة بنظراته فى تعجب

الأهوازية (لعبد الملك بن مروان) : إذا شاء الخليفة دعوتُ له شهودى.

« روح بن زنباع » يدنو من « عبد الملك ابن مروان » مؤكداً له بالإشارة أنه لم يمس الفتاة بسوء .
« محمد بن مروان » يدخل الفسطاط :

محمد (لعبد الملك بن مروان) : العسكر متأهّبون جميعاً للرحيل، تسودُهم الطاعة ، ويحكُمهُم النظام . . .

« محمد بن مروان » يدنو من « الحجاج » فيشد على يده مصافحا ، ثم يقول له :

بُورِكَ فى هِمَّتِكَ يا « بنَ يوسف » . . سأذكر لك هذا الجميل ما حَييتُ !

« عبد الملك بن مروان » ينقل بصره بين « الحجاج » و « روح بن زنباع » .

عبد الملك (لروح بن زنباع) : لا تَأْسَ على فساطيطك ، فإنى معوِّضُك خيراً منها ، ولا تجزَعْ مما أصاب غِلمانَك ، فسأصلح الأمر .

يلتفت إلى « الأهوازية » قائلا لها :

أمَّا شَكَاتُكِ أنتِ فليس هذا حِينَها .

يخطو نحو الجمع ، فيلتفون حوله ، فيقول فى جد :

الآن نبدأ الرحيل .

يقول « لمحمد بن مروان » :

أنتَ على المقدِّمَة يا « محمد » .

ثم يقول « لعبد الله بن يزيد » :

وأنتَ على المَيْمَنة يا « عبدَ الله » .

ثم يقول « لخالد بن يزيد » :

وأنتَ على المَيْسَرة يا « خالد » .

ثم يطرق مهمهما :

والمؤخِّرة ؟

يتلفت حوله ، فيبرز له « الحجاج » كأنه يرشح بنفسه ، فيسدد إليه « عبد الملك بن مروان » نظره ، ثم يقول له :

هى لك يا « بنَ أبى عَقِيل » ، فكن لها كُفْئاً ، كما هو الظنُّ بك .

يميل على « روح بن زنباع » فيربت كتفه ملاطفاً ، ويقول له :

أما أنتَ يا « رَوْح » فساعدى ، وصاحبُ مَشُورتى . وإنى تاركُكَ فترةً مع « ابن يوسُف » يسترشد بِنُصْحِك .

ينظر إلى سائر الجمع ، قائلا :

هَلُمّوا معى . . .

يمشى وئيداً ، وهو آخذ يد « بشر بن مروان » يقول له :

إمارة « العراق » تنتظرك يا « بِشْر » .

بِشْر (وهو ينحنى) : أرجو أن أكون موفَّقاً فى خدمة أمير المؤمنين .

عبد الملك (يسر إلى « بشر » قوله) : هل أعددتَ الرسائل إلى رجال « مُصْعَب » وقُوَّادِ جيشه ، تُمَنِّيهم بالأموال ، وتَعِدُهم الوِلاياتِ ؟

بِشْر (يجيب خافض الصوت) : أَنْفَذْنَا ما أمرتَ به ، وسنبعث بالرسائل سابقةً على خيلِ البريد .

عبد الملك : إننا لا نَكْسِبُ بالحرب والقتال ، قَدْرَ ما نكسِبُ بإغراء القوّاد واصطناعِ الرِّجال .

يخرج الجمع من القسطاط ، ولا يبقى فيه إلا « روح بن زنباع » و « الحجاج » و « الأهوازية » .

رَوْح (يواجه «الأهوازية» بنظرة شزراء) : أما زلتِ مُصِرَّةً على ادِّعائِكِ أنى خَمَشْتُك ، فشوَّهْتُ وجهَك ؟

« الأهوازية » تومىء برأسها علامة الإصرار والتأكيد ، فيصيح « روح بن زنباع » :

أنا فعلتُ ذلك بِكِ ؟ متى؟ وأين ؟

« الأهوازية » تشير بيدها لتفهمه أنه فعل ذلك منذ هنيهة فى المعسكر .

أحسَب أن الله قد رماكِ بالخَرَس . . . مَنْ شَهِيدُك على ما فعلتُ ؟ أنْطِق !

« الأهوازية » ترفع سبابتها ، كأنها تفهمه أن شهيدها الله .

« الحجاج » ينبعث ضاحكا .

« روح بن زنباع » يقول له :

لك أن تَضْحَك ما شئتَ . . . جئتُ أشكو إلى الخليفةِ سُوءَ فِعْلِك ، فإذا أنتَ على مؤخِّرة الجيش

أمير . . . وإذا الخليفة يكلِّفُنِي أن أنصَحَ لك ، وأن أُعينَك على أمرك . . . أنتَ على المؤخِّرة . . . حسناً فعلَ أمير المؤمنين ، إذ اختارَ لك هذا الموضعَ ، فأنتَ أقربُ شَبَهاً بالرِّعاء .. أتُحْسِنُ سَوْقَ الغَنَم؟

الحجّاج : إنى لأسوقُها سَوْقاً ليس لكَ بمثلِه عِلْم !

رَوْح : لا تَحْسَبَنَّ أنكَ صائر إلى خير . . . فإنكَ تحمل نفسَك على خُطَّةٍ لا راحةَ لك فيها ولا رَغَد ، ولن تكونَ حياتُك إلا طريقاً تخوضُ فيه الدماء .

الحجّاج : نِعْمَتِ الخُطَّة ، وأَحْبِبْ بهذه الحياة !

رَوْح (ساخراً بأنفه) : سنرى كيف تمضِى فى طريقك ، وماذا تكونُ عاقبةُ أمرك .

الحجّاج : ذلك إلىَّ لا إليك، وعَلَىَّ تَبِعَتُه لا عليك. فَلْتَدَعْنى وشأنى ، ولتأخُذْ فيما كلَّفَكَ إياه أمير المؤمنين . . . بماذا تشير على راعى الغنم أن يفعَلَ ؟!

رَوْح (فى أنفة واستكبار) : سأُملى عليكَ رأيى ، فانتظر ما أنا قائلٌ لك ... فيما بعد !

يهم « روح بن زنباع » بالخروج من الفسطاط
يحدج « الأهوازية » بنظرة إزراء .

رَوْح (للأهوازية فى منصرفه) : ليكونَنَّ لى معكِ شأن أيتها الكاذبةُ الخرْساء !

« روح بن زنباع » يطويه باب الفسطاط .
« الحجاج » يتضاحك .
يرنو إلى « الأهوازية » يتأملها .

الحجَّاج (للأهوازية) : اقتربى منى .

« الأهوازية » تخطو إليه ، متعلقاً بصرها به ، بادياً عليها الارتياح .

ما حَمَلَكِ على أن تفترى على « رَوْح » هذه الفِرْيَة ؟ مَبْلَغُ علمى أنه لمْ يَمْسَسْكِ بسوء .

الأهوازية : وأنَّى لكَ أن تَعْلم ؟

الحجاج : أيَخْمِشُ وجهَكِ « رَوْحٌ » ، ويداه رَخْصَتَان ،

قُلِّمَتْ منهما الأظفار ؟ إن « رَوْحاً » يا فتاتى أخو نعمة وترَف ، قُصاراه أن يسامرَ الخليفة بأحاديثهِ الرقاق ، ولكنه لا يحسن خَمْشَ الوجوه . . . لو رميتنى أنا بهذه التُّهَمَة لكنتِ حَرِيَّةً أن تَجِدِى مَن يُصَدِّقُكِ فيما تَدَّعِينَ .

الأهوازية (كاسرة « للحجاج » عينها) : أتُحسن خَمْشَ الوجوه يا « بنَ يوسف » ؟

الحجاج (فى لهجة الواثق المؤكد) : إنى لمستطيع أن أُمزِّقَها تمزيقا !

الأهوازية (ضاربة صدرها بيدها) : أتمزِّق وجهى أنا ؟

الحجاج (وهو يتوسمها) : حاشاى . . .

يلاطف خدها مبتسما .

وَجْنَة غَضَّة بَضَّة ، عَجِبتُ ممن يَهون عليه أن يَخْمِشَها ! . . . ألا تصارحيننى بحقيقة ما جرى ؟

الأهوازية : أَيَّةَ حقيقة تبغى ؟

الحجاج : من الذى اجترأ على وجهك يَخْمِشُه ؟

الأهوازية : ألا تَحْزِرُ مَن يكونُ ؟ أليست فيك فَطَانة ؟

الحجاج : كَفَى عِناداً ومطاوَلة . . . أجيبينى .

يتواجهان ، وتشتبك أنظارهما لحظة .

من خَمَش وجهَكِ ؟

الأهوازية (وهى ترفع يدها ، وتمد أصابعها) : أظفارى هٰذه !

الحجاج (مدهوشاً) : أأنتِ تُوقِعين بنفسِك الأذى ؟

الأهوازية : لا أُبالى شيئاً يبلغُ بى غايتى .

الحجاج : وماذا كانت غايتُك ؟

الأهوازية : خَشِيتُ أن ينالوا منك ، فأردتُ إنقاذاً لكَ .

الحجاج : وما الذى يبعثُك على أن تنقذينى ؟

الأهوازية : حَمِدْتُ لكَ إيقاعَكَ بأعوانِ « رَوْح » . . . لقد تمادَوْا فى سَفاهة وعُتُوّ .

الحجاج (محدقا فيها) : أَمَا أَشْفَقْتِ على نفسِك من سطوة « رَوْح » ؟ .

الأهوازية : وهل أخاف رجلاً لَيْسَتْ له أظفار ؟

الحجاج (رافعاً يده يريها أصابعه) : وأنا ؟ . . . أتخافينى إذن ؟

الأهوازية (وهى تتأمل يده) : أظفار نَمِر ... ولكنى لا آبَهُ لها !

الحجاج : ألم تَرَىْ كيف بَطَشْتُ بأعوان « رَوْح » فأدَّبْتهم تأديباً ؟

الأهوازية : قَوَّمْتَ مُعْوَجًّا ، وأقررتَ نظاماً ، فلا تثريبَ عليك فيما فعلت .

يخطو ذهابا وجيئة ، وهو يتلاعب بسوطه .
ثم يقف أمامها بغتة .

الحجاج : من أنتِ ؟ ومن أين دَرَجْتِ ؟

الأهوازية : أنا ابنةُ الفَلَوَات فى الأهواز . . . قضيتُ فيها صِبای أَرُوضُ الوحوش .

الحجاج : ما أقساه عملًا تعانيه فتاة أنيسةٌ مثلُك !

الأهوازية : ذلك حظى من الدنيا . . . مع الوحوش دائما !

الحجاج : وما شأنُكِ مع الرجال ؟

الأهوازية : الرجال والوحوش بمنزلةٍ سواء !

الحجاج : بعضُ الرجال أشدُّ من الوحوشِ ضَراوة .

الأهوازية : إنى حَمُول صَبُور . صمت هنيهة

ستُخْبِرُكَ التجرِبة بما لا تعلَمُ من أمرى . . . فى يدك سوطُك ، فاحملْ به علىّ ، لا تخشَ بأساً .

« الحجاج » ناظر إليها يتعجب

تَقَدَّمْ فاضرِب . . .

« الحجاج » يتبسم .

أتتهيَّبُ أن تضرِبَنِى ؟

الحجاج : لا أضرب النساء . . .

الأهوازية : رأيتكَ تُنْحِى عليهنَّ ضربًا .

الحجاج : أذنَبْنَ ، فأسرعتُ إليهن بالعقوبة .

الأهوازية : ألا بدَّ أن أكون جانيةً لأنالَ من سوطك القِصاص ؟

الحجاج : وفيم إصرارُكِ على أن أنالَكِ بسوطى ؟

الأهوازية : لتختبِرَنى !

الحجاج : وماذا تريدين من اختبارى إيَّاكِ ؟

الأبواق تبعث أصواتها من وراء القسطاط .
الضوضاء تتعالى .
حرسى يدخل القسطاط مهتماً .

الحَرَسِىّ (للحجاج) : جند المؤخِّرة ينتظرون منكَ الإذنَ بالمسير .

« الحجاج » يفرقع بسوطه ، ويتقدم خطوات .

الحجاج (للأهوازية) : لى معكِ شأنٌ غير الضربِ بالسِّياط . . . اتْبَعينى ! .

« الحجاج » يمضى خارجاً من القسطاط .
الأهوازية تقفو أثره .

الفصل الثانى

يوم من أيام العام الثالث والسبعين للهجرة .
سفح جبل « أبى قبيس » .
بقايا دار مهدمة .
ترى المنجنيقات منصوبة صوب « مكة » .
اثنان من عرفاء الأجناد يلعبان بالشطرنج ،
وقد ملك عليهما اللعب تفكيرهما واهتمامهما .
تبدو شرذمة من الجند يتأمر عليهم عريفهم ،
وهو يقيمهم فى أمكنتهم صفا .

عَرِيف الجند (لشرذمته) : مكانَكَ أنتَ هنا ... وأنتَ هنالك ...
وأما أنتَ فخذ مكانَكَ فى وسط الصفّ .

يتلفت عريف الجند ، فتقع عينه على الرجلين
اللاعبين بالشطرنج ، فيظهر التعجب ، ويدنو
منهما عجلان ، ولا يلبث أن يصيح :

أمَا عَلِمتُما الخَبَر ؟ إنَّا مستأنفون القتال ، معاودون

ضربَ « مكةَ » بالمَنْجَنِيقات . أَمَا انتهَى مَوسِم الحجّ ، وانقضت فترة الموادَعة ؟

الرجلان ماضيان فى اللعب .
العريف يتابع قوله لهما :

أأصابكما صَمَم ؟ أما وَعَيْتُما قولى ؟ إنّا مستأنفون القتال .

ما برح الرجلان مقبلين على اللعب .
العريف يستشيط غيظا ، فينقض قطع الشطرنج ، ويرمى برقعته .
يتزعج اللاعبان ، ويثوران فى وجه العريف .

أحد اللاعبَين (للعريف) : قُبحاً لك من رجل !

اللاعب الآخر (للعريف) : كيف طَوَّعَتْ لكَ نفسُكَ أن تجرُؤَ على هذه الفَعلة ؟

العريف : كلَّمْتُكما فلم تَسمعا ، وانتظرتُ جوابكما فلم تَنْطِقا .

يتصايح الثلاثة ، وتكاد تنشب بينهم معركة .
يسمع من قريب لغط وخفق أقدام .
الجند فى صفهم يتطلعون فيهمهمون .

بعض الجند (صائحين) : الأمير . . . الأمير . . .

الثلاثة العرفاء يكفون عن العراك .
يقدم « الحجاج بن يوسف » ، عن يمينه « طارق بن عمرو » ، وكلاهما فى لبوس الحرب . ولكن « الحجاج » يتميز فى لبسته بالفخامة والتعظم ، وفى يده خنجر ، وقد لاث عمامته الحمراء على طرطور أطول من طرطور « طارق » .
يظهر خلفهما نفر من الجند .

الحجاج (لطارق) : أَفَرَغْتَ من التأهُّب يا « طارقُ » ؟

طارق : لم يبقَ إلا أن تأمُرَ ببدء القتال .

الحجاج : والمقاتِلَةُ الجُدُد الذين جئتَ بهم معك ؟

طارق : لقد تمَّ تدريبُهم على خير ما ترجو . وإنهم لَأنجاد ، وأنتَ بالغ بهم ما تصبو إليه نفسُك .

يشير « طارق » إلى نفر الجند من خلفه ، قائلا :

هؤلاء منهم . . .

الحجاج (متلفتاً إلى نفر الجند ، قائلا لهم) : اقتربوا . . .

يعرض الجند متفحصاً ، ويتحسس أجسادهم مختبراً . يقول لأحدهم وقد رآه مهزولا :

ما أحسبُك تَقْوَى على مصاوَلة وجِلاد ، أَمْثَلُ لكَ أن تكونَ بين حُرَّاس المِيرَة .

يقول لآخر ، وقد رآه بادنا ترهلت أوصاله :

ما شأنُك أنتَ بامتشاق الحسام ؟ . . ألك خِبْرَةٌ بالطَّهْو ؟

الجندى يتلعثم .

« الحجاج » يتابع قوله له :

عليكَ بالمَطْهَى تُعِين فيه الطُّهاة ، فإن عزَّتْ لحومُ الأنعام وجدوا فى بَدَنِكَ عِوَضا !

يقول لآخر ، وقد رآه دارعا متقوسا :

أهذا مَبْلغ علمك بِلُبْسِ الدِّرع ، وحَمْل القوس ؟

يقبل عليه فيصلح له سلاحه ، قائلا :

كذلك تلبَسُ درعَك . . . كذلك تَحْمِلُ قوسك !

ينحو نحو « طارق » ، فيقول له :

لم ترجع بعدُ رُسُلنا إلى « ابن الزبير » !

طارق : عَمَّا قليلٍ ترجعُ أيها الأمير .

الحجاج : تُرَى ماذا كان من أمرِ « ابن مسعود » ؟

طارق : سيسبقُ إلينا الرُّسُلَ حَتما .

الحجاج : ها نحن أولاء نعرِض الأمانَ على « ابن الزُّبَيْر » مرةً أخرى ، بعد أن عرضناه عليه من قبلُ فَأَبَى . . . كذلك أراد أمير المؤمنين ، وإنا لما أراده طائعون .

طارق : أَصالةُ الرأى فيما أشار به الخليفة . إنه يستبرِئُ لذمته من هذا الثعلب الماكر الذى لا يعبَأُ بإخْرَابِ « مكةَ » ، ولا يبالى أن تتعرضَ الكعبةُ لأخطار الحرب وأضرار القتال .

الحجاج : قَسَما بربِّ البيت لو كان لىَ الأمر دون مُعَقِّب ، لهجَمتُ على « ابن الزبير » منذ نزلتُ هذه البقعة ، ولما لبثتُ تلك الأشهرَ التى لبثتُها أحاصرُه وأصابرُه .

طارق : لا تأسَ على ما فاتك ، فقد أوشكتْ ساعةُ الفصل .

فإما أن يستسلمَ لنا « ابنُ الزُّبَيْر » فنكفُلَ له حياة معزَّزة فى ظل أمير المؤمنين وتحتَ لوائه الخفاق ...

الحجاج : وإما أن نهجُمَ عليه هجمةً لا تُبقى ولا تذَر .

طارق : صدَقتَ ، ولا تثريبَ عليك إن فعلتَ ، فقد أَعْذَرَ من أَنْذَر .

الحجاج (صائحاً) : يا غلامُ . . .

يلبى النداء رجل من القائمين بخدمة « الحجاج » فيقول له :

قل للأهوازية : عَلَيْنا بالطعام .

الخادم : الطاعةُ لمولاى الأمير .

ينصرف الخادم مهرولا .

الحجاج (لطارق) : لِزَام أن تُظِلَّ البلادَ الإسلامية وَحْدَةٌ شاملة ، حتى لا تكونَ بين المسلمين فُرْقة ، وحتى يكونَ الأمرُ كلُّه لأمير المؤمنين « عبدِ الملِك » . . بالأمس فَرَغْنا من « العِرَاقَيْن » ، واليومَ يدنو منا

مَنَالُ « الحجاز » . ولَيَلْقَيَنَّ «عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر»
ما لَقِيَ أخوهُ « مُصْعَب » من قبلِه .

طارق : لا تَنْسَيَنَّ الخوارج فى « فارس » ، فإن لهم شأنا .

الحجاج : لن يقفَ الخوارجُ عقبة فى سبيلِ ما نريد !

يتطلع إلى الأفق صوب « مكة » .

عَجيبٌ إبطاءُ الرُّسُل . . . وهذا « ابنُ مسعود »
كأنما أخفاه جُبٌّ !

يبدو على « الحجاج » أنه نافد الصبر ، لا قرار
له . يلتفت إلى من عرضهم من الجند ، فيقول:

مَنْ سَبَق إلىَّ منكم بنبإ قدوم الرسل أمرتُ له بعشرة
دنانير . . . أَوَعَيْتُمْ ما أقول ؟ إنها دنانير عشرة !

الجند يهرولون فى منصرفهم ، متصايحين .

الجند : الطاعةُ للأمير . . . الطاعة للأمير . . .

الريح تعزف ، والسماء تتلبد فيها الغيوم .

طارق (وهو يرقب السماء) : ما أحسَب إلا أن عاصفةً على

وَشْكِ الهبوب .

الحجاج (وقد رمى بنظره فى الأفق) : وماذا فى أن تَهُبَّ عاصفة ؟
ألا يروقُك أن تُقاتِلَ تحت زمزمة العواصف ؟ . .
نحن نتقاتَلُ فى الأرض ، والريح تتقاتَلُ فى السماء .
لكلِّ شأنٌ يَعْنِيه !

آذن يقدم .
« الحجاج » يتصدى له قائلا :

أجاءتِ الرُّسُل ؟

الآذِن : كلا يا مولاى ، بل . . .

الحجاج (مقاطعاً) : أَحَضَرَ الطعام ؟

الآذن : كلا يا مولاى ، بل . . .

الحجاج (متعجلا ، صائحا) : إذن فِيمَ قدومُك؟ ما هذا العِىُّ ؟
أَفْصِحْ .

الآذِن (مضطربا ، متلجلجاً) : شيخ فى صُحْبَتِه فتاة ، يطلبان
لِقاءَ الأمير .

الحجاج (فى صوت الحانق) : لا ألاقى الآنَ من أحد !

لا يكاد الآذن يخطو مدبرا ، حتى يبدو رجل قد أسن ، يسير الهوينى ، متوكئاً على كتف امرأة بدوية ملثمة ، فى عصر الشباب .

الرجل الهَرِم (راعش الصوت) : معذرةً يا بُنَيَّ . . . لو كنتُ أعلم أنكَ فى خَلْوَتِك ، مشغول بأمرك ، لما اقتحمتُ عليك مجلسَك .

الحجاج (وهو ضائق مغضب) : من تكون ؟

الرجل الهرم: ألا تَذْكُرُنى يا بُنَيَّ ؟ حقا لقد بعُدَ بنا العهد !

الحجاج (يحدق فيه ، ثم يقول فى لهجة عليها مسحة من جفاء وترفع) : لعلك « ابنُ حَكِيم » !

ابن حَكِيم (وقد لاح البشر على وجهه) : ها أنت ذا عرفتنى . وهل تستطيع أن تنسَى « ابنَ حكيم » ؟ أتنسَى من كنتَ تُنْزِلُه من نفسك منزلةَ أبيك ؟

يندفع إلى « الحجاج » يريد اعتناقه .
« الحجاج » يرده عنه ، ويومىء له بالتحية في استعلاء .

الحجاج (ملتفتاً إلى المرأة) : وهذه . . . من تكون ؟

المرأة تميط عن وجهها اللثام ، فيقول « الحجاج » :

أنتِ « عَفْراء » ؟

عفراء : أما عرفْتَنى أولَ وَهْلَة ؟

الحجاج : كان على وجهِك اللِّثام .

« طارق » يمضى نحو المنجنيقات

عَفْراء (للحجاج) : أما أنتَ فلا تَخْفَى عنى ، ولو حَجَبَكَ ألفُ لِثام ! . . .

الحجاج : لستُ حديدَ البصر . . . الأحداثُ التى مرتْ بى لم تَدَعْ لى بَصَراً نافذاً .

عَفْراء : وهل تحسَب أن ما مرَّ بى من الأَحْداث أهونُ مما مَرَّ بك ؟

الحجاج : أيةُ أَحْداث ؟

« عفراء » تخفض رأسها متحسرة

ابن حَكِيم : لقد انتظرَتْك «عفراء» يا بُنَيَّ ، حتى طال انتظارُها. كانت تؤمِّل أن تئوبَ إلى « الطائف » موطِنك الأصيل ، وكانت ترتقبُ أن تُنْجِزَ وعدَك إياها... ولكن يا بُنَيَّ . . .

الحجاج : عاقَتْنى صوارف الأيام ، وشَغَلَتْنى الأعمالُ الجِسام.

عَفْراء : ولكنْ ما ترى فى فتاةٍ عَقَدَتْ برفيقِ صباها حَبْلَ المُنَى ؟

الحجاج : المُنَى يا « عفراء » حُلْوَة شائقة ، إلا أنها حُلْمُ نائم . . .

تبدو « عفراء » جهمة القسمات ، لخيبتها فيما أملت من « الحجاج » .
يفطن « الحجاج » إلى أنه لم يكن رفيقا بها .
يقول لها متلطفاً :

أخبرينى يا « عفراء » كيف حالُكِ ؟

عَفْراء (ناكسة الرأس) : إنى بخير . . . حمداً لله !

ابن حَكِيم : كُنَّا فى غَيْبَةٍ عن «الطائف» حين حلَّ بها ركابُك، فلما عدنا إليها عَلِمْنَا بسؤالك عنا، ورَغْبَتِكَ فى أن ترانا، حتى إنك بَعثتَ فى طلبنا . . .

الحجاج : كان حقًّا علىّ وقد رجعتُ إلى بلدى بعدَ طول مَغِيب، أن أرغبَ فى لِقاءِ الأهل والعشيرة، وأن أُسائِلَ عَمَّنْ كنتُ أعرفُ فى « الطائف » .

ابن حكيم : شَهِدَاللهُ يابُنَىَّ أنا كنا نَتَقَصَّى أخبارَك، ونرجو لك الخيرَ أجمع . . . ولَشَدَّ ما كانت « عفراء » حَفِيَّةً بأمرك، لا تَمَلُّ المساءلةَ والاستخبار .

عفراء : كانت عينى تَقَرُّ بما تبلغُه من رَفيع الشَّأْو، وكنتُ أدعو لكَ بدوام السعد والرَّغَد .

الحجاج : هذا كَرَمُ نفس، وطِيبَةُ قلب .

عفراء (دانية من «الحجاج»، قائلة فى تحنن) : ما كان أطولَ مغيبَك عنا، وما أقسى البِعادَ على قلب لَهِيف!

الحجاج (يردها فى مظهر من التلطف) : أظنُّكِ قد تزوجتِ يا «عفراء»...

ابن حكيم : لما بلغ منها اليأسُ من عودتك، قَبِلَتْ أن تتزوجَ، ولكن سَرْعانَ ما أصبحَتْ من الأيامَى.

الحجاج (وهو ينأى عن «عفراء» رويدا) : وَا أَسَفَا...

عفراء (وهى تدنو منه) : لا أسفَ على ما كان، فإن لى فى سوالف أيامى عَزَاءً وسلوى. كلما تذكرتُ ملاعبَ طفولتنا، ومعاهدَ صبانا، وتمثلتُ كيف كنا أَلِيفَيْن، يَنْعَمُ كِلاَنا...

الحجاج (مقاطعاً إياها) : ولكنى أذكر أنى طالما آذيتُكِ، وطالما عَنِفْتُ بكِ حتى ذرَفَتْ عينُكِ الدمعَ...

ابن حكيم : ما كنتَ ظالما لها، وإنما كانت هى تعابثُك وتَعْصِى

أمرك ، فَتُحسنُ تأديبَها ، وتُنْزِلُ بها من العِقاب ما تستحقّ .

عفراء : ليتَ هذا العهدَ دام !

الحجاج : كلُّ عهدٍ إلى زوال وانتقال .

عفراء : ولكن من العهود ما ينتقشُ فى القلوب ، لا تنالُ منه الأيامُ أىَّ مَنال .

ابن حكيم : إنا لنذكُرُ ما حَيِينا عهدَك فى « الطائف » أيامَ لم يكن ينجُو مِن عَصاك صَبِىّ . . . أيامَ كنتَ معلِّماً قديراً ، على يديك يحفَظ الناشئةُ آىَ القرآن . . .

الحجاج (يهمهم فى تضايق) : تلك أيامٌ خَلَتْ !

ابن حكيم (يسترسل فى سذاجة ، وهو يبتسم) : كلُّ ما كان باديًا من مخايلك فى صباك يبدو الآنَ جَلِيًّا فى رجولتك ... فما كان أمسُك الدابر إلا صورةً مصغَّرة من يومك الحاضر !

« الحجاج » يغدو ويروح مهتاجاً .
يقف حيال « ابن حكيم » .

الحجاج : أجِبْنِي : ماذا يقولُ الناسُ اليومَ عنى ؟

ابن حكيم (وقد باغته السؤال ، يقول فى ملاينة) : لا يقولون عنك إلا خيرًا . وَفَّقَكَ الله إلى الرُّشْـد ، وزادَك من مَجْدٍ وجاه .

الحجاج : الناس اليومَ يَنْعَتوننى بالقسوة وغِلْظَة القلب ، كما كنتُم بالأمسِ تنعتوننى ...

عفراء : لا قَسوة ولا غِلْظة ، وإنما هى حكمة وحَزْم !

الحجاج (لابن حكيم) : سألتُـكَ أن تجيبَنى : ماذا يقولُ الناس عني ؟ أجِبْـنِى !

تظهر الحيرة على وجه « ابن حكيم » .
« الحجاج » يقول محتداً :

أقسمتُ عليك أن تقول ، ماذا يأخُذُ الناسُ علىّ ؟

ابن حكيم (متلجلجاً) : ربما أخذ عليك بعضُهم رَمْيَكَ الكعبةَ بأحجار المَنْجَنِيق .

الحجاج : ولماذا لم يأخذوا على « ابن الزُّبَيْر » أنه اتخذَ من الكعبة مَعَاذا ، وجعل من أستارِها لنفسِه حِمًى ؟ ألَا ساءَ ما صَنَعَ المنافق الخَدَّاع . أمَا عَلِمَ قولَ رسولِ الله : « إن الكعبة لا تُعيذُ عاصياً ، ولا تمنَعُ من إقامةِ حدّ ؟ » أما ورَبِّ الكعبة لئن لم يَزُلْ عن الكعبةِ لَأَهْدِمَنَّ أحجارَها على رأسِه ، ما دام فى ذلك صلاحُ العامة ، وتأييدُ جامعةِ الإسلام .

يغدو ويروح مهتاجاً .
عويل الرياح يتعالى .
« الحجاج » يقف ثانية أمام « ابن حكيم » ، ثم يقول :

وماذا يأخذُ الناس علىَّ ، غيرَ هذا ؟

ابن حكيم (يلاين «الحجاج» على تخوف) : لا شيء يا بُنَيَّ ... لا شيء !

الحجاج (ناظراً نحو المنجنيقات) : فليقل الناس عنّى ما شاءوا ... لا أُعِيرُ سمعى لكلِّ ناعق !

يتجه فى خطوه صوب المنجنيقات .

عفراء (تميل على أبيها مكروبة تهمس) : أَحْجَى بنا أن نَمْضِىَ يا أَبَتَاه .

ابن حكيم (ملاطفاً إياها فى تحنن) : حَقًّا يا بُنَيَّة ، أَحْجَى بنا أن نَمْضِىَ . فقد أَغْمَضَ عما كنتِ تأمُلينَ أن يتحدَّث فيه .

«عفراء» تنثنى على صدر أبيها باكية .
«ابن حكيم» يتابع قوله مترفقاً بها :

ولكن لا تَيْأَسِى ، فربما خَبَأَ لكِ الغيبُ ما تحبِّين .

عفراء : ما جئتُ أؤمِّل شيئاً ... فلنَمضِ يا أبتاه .

الحجاج (عائداً إلى مكانه من ضيفيه وهو محنق) : عَجَبًا لإبطاء الرُّسل عنّى !

تقدم « الأهوازية » .

الأهوازية (للحجاج) : فرغتُ من تهيئة الطعام يا مولاى ، أفآتيكَ به ؟

يقع بصرها على الشيخ وابنته ، فتتفرس فيهما .

الحجاج : هاتِيهِ ، وأعجِلِي ...

« الأهوازية » منسحبة ترمق الضيفين .
« الحجاج » ينظر إليها ضائقاً ، ويقول :

فيم التباطؤ ؟ علىَّ بالطعام .

الأهوازية : أيريدُه مولاى لنفسه خاصة ، أم يدعو إليه ضيفَيه ؟

الحجاج (لابن حكيم وعفراء ، وهو محرج) : هل لكما أن تَشْرَكانِى فى الطعام ؟

ابن حكيم : الأميرُ اليومَ فى شُغُل عنا ، فليأذَنْ لنا أن نَمْضِىَ

عنه ... ربما عُدْنا إليه . . دعاؤنا إلى الله أن يَكْتُبَ له النصر والتأييد .

الحجاج : إنى أحمَدُ لكما زَوْرَتَكما ، وأرجو أن أرا كما فى قريب .

ابن حكيم : مَدَّ الله فى عمرك يا بُنَيَّ !

ينصرف « ابن حكيم » و « عفراء » .

الأهوازية : مَن هذه المرأة ؟

الحجاج : إنها من « الطائف » ... قَدِمَتْ تزورنى فى صُحْبَةِ أبيها .

يحدق فيها ، قائلا لها :

وما سؤالك عنها ؟

الأهوازية : عجبتُ لكَ ، تفرُغ للزيارة ، وتبذُل لها وقتك ، وأنتَ على أُهْبَةِ عمل جسيم !

الحجاج : طلبَتْ أن تَرَانِى ، وألحتْ فى طلبها ، فأذِنْتُ لها .

الأهوازية : أكان بينَكما تعارُف ؟

الحجاج : قَضَيْنا معاً عَهْدَ الصبا فى « الطائف » ، ثم باعدتْ بيننا السِّنُونَ والأحداث ، حتى كانَ هذا اللقاء

الأهوازية : وكيف وجدْتَ رفيقةَ صِبَاكَ أيها الأمير ؟

الحجاج : تركتُها صَبِيَّةً فِجَّة ، فإذا هى اليوم ثَمَرة يانعة ... شدَّ مَا هى كَلِفَةٌ بى !

« الحجاج » يتلاعب بخنجره

الأهوازية : وأنتَ ؟ ألستَ بها كَلِفاً ؟

الحجاج : مَبْلَغُ شعورى أنى عليها عَطُوف .

الأهوازية : ومن أجل هذا دعوتَها إلى زيارتك ؟

الحجاج : ألم أقلْ لكِ إنها هى التى طلبتْ لقائى فى إلحاح ؟... إنها مشغوفة بى كل الشغف ، ولا أنكر أنى أَعْطِفُ عليها كل العطف ، فهى أهلٌ لذاك ... ومن يدرى ، فلعل ما أُحسُّه الآنَ عطفاً يصير فى

غدٍ إلى ما هو أقوى وأَوْثَق . . .

الأهوازية : إذا شاء الأمير أخبرتُه لماذا أذِن لها فى لقائه .

« الحجاج » يحدج « الأهوازية » بنظرات حداد .
« الأهوازية » تتابع قولها مشيرة إليه :

شِكَّةٌ من السلاح لامعة فاخرة ، طُرطور متطاول تختالُ عليه العِمامة وتَزْهُو ، إمارةُ الجيش تُلْقَى إلى من كان يُلَقِّنُ الناشئةَ آياً من القرآن . . . أين أَمسُكَ مما أنتَ فيه اليومَ ؟

الحجاج (مائلا أمامها ، مرفوع الهامة ، مجنح الذراعين) : أنا دائماً كما أنا ...

يصيح فى صولة :

أنا ابن الأَشياخ من « ثَقِيف » ، والعقائِل من « قُرَيش » !

الأَهوازية : ولكن الناس جميعاً يَرَوْنَ غير ما ترى . . . شَتَّانَ بين حالَيْك !

الحجاج : جاوزتِ المدَى بحماقتك . . . إن كان لا بدَّ أن أصارحَك لماذا أذِنْتُ لهذه المرأة فى القدومِ علىّ ، فاعلمِى أنى سأتخذُها لِى زوجا .

« الأهوازية » تدهش .

ألَا ترَيْنَها لى أهلا ؟

الأَهوازية : وماذا يروقُكَ منها ليجعلَها أهلاً لك ؟

الحجاج : إنها وَسِيمة . . . والوسامَةُ للمرأة جاه عظيم !

الأَهوازية (ثائرة غضبى) : ولكنَّ فيها شِيَمَةَ الأَعراب من جَفْوة وعُنْجُهِيَّة .

الحجاج : حَسْبُها أن لسانَها لا يجرى عليه ما يجرى على لسانِك من قولٍ غليظ !

الأَهوازية : نِعْمَ الجزاء جزاؤكَ أيها الأَمير . . . ذلك حَظِّى منك ، أنا التى بذلتُ فى سبيلِكَ ما بذلتُ !

الحجاج : أَتَجْحَدِين ما أُوليكِ من عطف ؟ أتنكرين أنى بَسَطْتُ لكِ من حفاوتى ما لم أبسُطْه لأَحدٍ غيرِك ؟

حسبُكِ منى هذا كلُّه ، أما قلبى فلستِ بقيِّمةٍ عليه . . . والآنَ علىّ بالطعام .

الأهوازية : وتلك المرأة . . . ماذا انتويتَ فى شأنها ؟

الحجاج : صارحتُكِ بما انتويتُ .

الأهوازية : هيهاتَ لك ، بل هيهاتَ لها !

الحجاج : أقصرى ، وإلا علَّمتُك كيف تُقْصِرين .

الأهوازية (ثائرة) : لأنتزعنَّ كلَّ من يحاولُ انتزاعَك منى .

الحجاج : لَأُقَلِّمَنَّ مخالبَكِ أيتها النَّمِرَةُ الحَمْقاء .

« الأهوازية » تقف حياله متحدية إياه .
العاصفة تزأر ، والبرق يومض .
« الحجاج » يتابع قوله محتدا :

قلتُ هاتِى الطعام . . . الطعام !

الأهوازية : ما أنتَ إلا يد تَبْطِش ، ومَعِدَةٌ تَعْوِى !

تنصرف ، فيقدم فى منصرفها جندى يعدو .

الجندى (للحجاج) : عَجِّلْ مكافأتى أيها الأمير . . . عادتْ

الرسلُ التى بعثتَها إلى « ابن الزُّبَيْر » .

يقدم جنود متسابقين متصايحين .

الجنود (مختلطة أصواتهم) : أقبلَتِ الرُّسُل من « مكة » . . .

أقبلت الرسل من « مكة » . . .

الجنود يفطنون إلى أن صاحباً لهم سبقهم بالنبإ إلى « الحجاج » .

« الحجاج » يقف أمام الجندى السابق ، فيفطن إلى أنه ذلك الذى أصلح له درعه وقوسه من قبل ، وأنه لا يزال يخطئ فى اتخاذ سلاحه .

الحجاج (للجندى السابق) : وجبتْ لك المكافأة .

يتهلل وجه الجندى .

« الحجاج » يتفحصه ، قائلا وهو يصلح له درعه وقوسه :

ألم أعلمْكَ كيف تلبَس هذه الدِّرع ؟ ألم أعلمْك كيف تَحْمِل هذه القوس ؟

« الحجاج » ينادى :

يا غلامُ . . .

يحضر أحد الأتباع مهرولا، فيقول له «الحجاج»:

عَشَرة دنانير لهذا الجندىّ مكافأةً له على سَبْقِه إلىَّ بالنبإ، وعَشَرة أسواط جزاءً له على تفريطِه فى إصلاحِ سلاحه!

الجندى يبهت، ويبدو عليه الاغتمام.
«الحجاج» يقول لغلامه:

أَنفِذْ ما أمرتُكَ به.

الجندى (فى ضراعة): يُعْفِينِى الأميرُ من العقوبة، وأُعْفِيهِ من المكافأة!

الحجاج: لا عفْوَ ولا إعْفَاء... لكلِّ شىءٍ جزاء.

«الحجاج» يقول للغلام:

عليكَ به، لا تُفلتْه من العقوبة، ولا تَحْبِسْ عنه المكافأة.

الغلام يسوق الجندى فينصرف به.
«الحجاج» يقول لأحد الجنود:

اذهبْ فأبلِغ الرسلَ أنى أذِنْتُ لهم فى القدومِ علىّ.

الجنود جميعاً يخرجون .

تقبل الرسل ، يتقدمهم « ابن مسعود » ، ومعهم « طارق بن عمرو » ، فيحيون « الحجاج » .

كبير الرسل (مقبلا على « الحجاج » ليؤدى إليه رسالة فى يده) : هذه رسالة من « عبد الله بن الزبير » .

« الحجاج » يفض الرسالة على عجل ، ويقرؤها عبراً ، ولا يلبث أن يعبث بها فى قبضة يده دعكا وفركا ، ثم يقذفها بعيداً .

الحجّاج (مهمهماً) : إنه يأبَى الاستسلامَ وإن ضَمنَّا له الأمان ... لقد آثرَ أن يُلْقِيَ بنفسه إلى التَّهْلُكَةِ.

يصيح :

إلى المَنْجَنِيقات . . . إلى المَنْجَنِيقات . . .

العاصفة يشتد زئيرها .

يقول « لطارق » :

لا هَوَادَةَ بعدَ اليوم ولا إرجاء . . . ابدَءوا الرَّمْيَ بالحجارة .

« طارق » يمضى فيرتب الجند أمام المنجنيقات
« الحجاج » يقرب « ابن مسعود » إليه ،
ويتحدث معه ، على حين تأخذ المنجنيقات فى
الضرب و « الحجاج » يرقبها مهتما ، وهو يقول
« لابن مسعود » :

كيف حال « مكةَ » يا « بنَ مسعود » ؟

ابن مسعود (مسرعا فى القول متحمسا) : « مكةُ » تُعانِى أسوأَ حال .
الأهلون جِياعٌ يتضورون ، حتى إنهم ليأكلون
لُحوم البَرَاذين . فأما الذُّرَةُ فلا تكاد تُرَى حبَّةٌ
منها فى متناوَلِ الناس ، على حينِ أن بيوتَ
«ابن الزُّبَيْر» تَزْخَر بالقمح والشعير، وخزائنُه مَلْأَى
بالأموال

الحجاج : وَيْحَه من كَنزٍ شَحِيح !

ابن مسعود : إنه ليضَنُّ على جنده ، حتى بالرِّماح والأسياف !

الحجاج : وعلامَ عَوَّل أهل « مكة » ؟

ابن مسعود : لقد تركتُ أكثرَهم مُزْمِعين خروجاً إليك ، وفيهم

« عُرْوَةُ » أخو « عبد الله » ، و « حَمْزةُ » و « خُبَيْب » ابناه . . . فما ظَنُّك به وقد تخلَّى عنه الأخُ والوَلَد ؟ وفيما علمتُ أن « بَنِى سَهْم » انشقُّوا عليه ، واعتزموا أن يدخُلوا فى بَيْعة أمير المؤمنين .

الحجاج (مهتاجا) : هذه بشائر النصر المُؤَزَّر !

الرياح تعوى .
المنجنيقات تمسك عن الضرب .
« الحجاج » يهيب بالجند صائحاً :

تَابِعوا الضرب . . . لا تَتَوَقَّفُوا . . .

الجند يتصايحون .

طارق (وقد بدا مضطربا) : الكعبةُ تحترق !

الحجاج (صارخا) : امضُوا فى الضرب . . لا تتوقفوا . . .

« الأهوازية » تقبل حاملة صينية الطعام .
الجند يستأنفون الضرب بالمنجنيقات .
« الحجاج » يتناول هبرة من لحم ، ويأكل منها أكل منهوم .
يظل فى ذهاب وجيئة ، وهو يرقب الضرب .

العاصفة تشتد .
صاعقة تنزل على مكان الجند من المنجنيقات .
يتعالى صياح الذعر .

طارق : الصاعقة قَتَلَتْ اثنين من رجالنا .

نار تندلع حول المنجنيقات .

الحجاج : أطفئوا النار . . . حُولُوا بينها و بين المَنْجَنِيقات .

الجند فى هرج ومرج .

إلى الضَّرْب . . . إلى الضرب . . .

يقدم على « الحجاج » رجل هرم من القراء

القارئ (فى تذلل ومسكنة) : إن نزول الصاعقة على رجالنا بُرهانُ غَضَبِ الله علينا ، إذْ رَمَيْنا بالحجارة بيتَه الحرام .

العاصفة مشتدة .
أصوات الذعر و ستغاثة تتزايد .

الحجاج (للقارئ) : لا تُقْحِمْ نفسَك فيما ليس لك بِهِ علم ... أنتَ قارئ ، فلا تَعْدُ طَوْرَك !

القارئ : إنما أنْصَح لك يا مولاى ، والنُّصْح واجب علىّ .

الحجاج : الواجبُ عليـــك أن تقومَ على دَفن الرجلين الشهيدَيْن . . . إنهما من أهل الجنة ، وما أكرمَها مِيتَةً يلقاها المسلم مجاهِدًا فى سبيل الله . . . أَنفِذْ ما أَمرتُكَ به !

يدبر القارئ عن « الحجاج » ساهماً .
ينظر «الحجاج» إلى من حوله، فيقول لهم :

إنكم تُطَهِّرون الكعبة من الفاسقين المارقين ، فلا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأَعْلَوْنَ إن كنتم مؤمنين.

يرمى ببصره إلى «طارق» فيقول له :

تابِعُوا الضرب !

همهمة استياء تسرى بين الجموع .
الجند يحجمون عن الضرب .

بعض الجنود (متصايحين) : هـذا غضبُ الله يَحِلُّ بنا ... هذه نقمتُه تنزل علينا !

« الحجاج » يتخفف من ملابسه ، ويرفع طرف قبائه فيغرزه فى منطقته ، ويبرز للجنود .

الحجاج (صائحاً) : يأهل «الشام» لا تُنكِرُوا مما تَرَوْنَ

شيئاً ، فإن هـذه الصواعق لاتَخُصُّكم وحدَكم بنارها ، فكما تقعُ عليكم تقعُ على أعدائكم . إنها لا تنزل لغَضَبٍ أو رضا ، وإنى بها لخَبِير ... أنا ابنُ « تِهامَةَ » وهـذه صواعقُها . افسَحوا لى ، وسأرمِى بنفسِى الكعبةَ ، فاتبَعُونِى ، وكونوا معى ، والله معكم ، والعاقبة للمتقين !

يدفع « الحجاج » بالجند فى طريقه إلى المنجنيقات .

الفصل الثالث

يوم من أيام العام الخامس والسبعين للهجرة ، بعد عامين من مقتل « عبد الله بن الزبير » . قصر « الحجاج » فى « المدينة » أثناء ولايته عليها. حرسى يقدم ، ومعه الشاعر الغزل « عمر بن أبى ربيعة » فى الخمسين من عمره ، خاضب لحيته ، أنيق البزة ، يضوع منه العطر .

الحرسىّ : مكانَكَ يا عُمَرُ يا بنَ أبى رَبِيعَةَ . . . لا تَزُلْ عنهُ قِيدَ خُطْوَة .

عُمَر (مطوفا ببصره فيما حوله) : بَهِىٌّ قصرُ الأميرِ هنا فى « المدينة » ، لهُوَ أبهَى من قصرِه فى « مكة » .

الحرسىّ : وهل « المدينة » أهوَنُ من « مكةَ » شأنا ؟ . . . إن الأمير يَنْزِل « المدينةَ » فى القَينة بعد القَينة ،

فلا عجبَ أن يختارَ لمُقامِه أجملَ ما فيها من قصور ..
إنك ها هنا ما كثْ حتى يرجعَ الأمير ، فقد خرج
للصَّيْد . . .

عُمَر : ومتى يرجع فى سلامَةِ الله وأَمْنِه ؟

الحَرَسِىّ (ساخرا) : إنه لا يضربُ لى مَوْعِدَ رجوعه . . .
ربما كان ذلك فى عامٍ غيرِ عامنا هٰذا . . . مهما يكنْ
من أمر فلا فَكَاكَ لك من مكانِكَ حتى يرجعَ
الأمير !

عُمَر : ألا تُخْبِرُنى حَفِظَكَ الله لماذا أرسل الأميرُ فى طلبى؟

الحرسىّ : قَدِّرْ أنتَ ما شئتَ من الدواعى والأسباب ،
ولكنْ لا يَذْهَبَنَّ بك الظنُّ إلى أنه أَقْدَمَكَ عليه
لتُنْشِدَه من شعرك فى الصَّبابة والغَزَل يا « عمر » !

عمر (وهو يصعد فيه النظر) : وماذا فى إنشادِ شعرِ الصبابة
والغزل ؟ أمَحْظُورٌ هنا ؟

الحرسىّ (هازئاً) : لستُ أدرى . . . ستعلَمُ عمَّا قليل !

عمر : وإذا طابَ لى أن أتغزَّلَ فيك مثلا ؟

الحَرَسِىّ (فى عجب وغضب) : ألا تَرَانِى رجلا يا رجل ؟ أم أنك لا تَعِفُّ عن التغزُّل فى الذكور ؟

عمر : ظُنَّ خيراً يا صاحبى . . . ماذا يَرِيبُك من تغزُّلى فيك ؟ . . . أليس التغزُّلُ ضرباً من المديح ؟

الحرسىّ : ما علمتُ ولا سمعتُ أنك تغزلتَ فى الذكور .

عمر : يا طالما تغزَّلْتُ فيها . . . ألم يَبْلُغْكَ تَغَزُّلى مثلا فى حمارِ الوحش ؟ !

الحَرَسِىّ : أنتَ تَهْذِى يا « عُمَر » . . .

عمر : وماذا يمنَعُنى أن أتغزَّلَ فى حمار الوحش ، وهو على عَرْشِ الفَلاةِ أمير ، وله خَطَرُه بين الحمير !

الحَرَسِىّ : لستُ فارغا لهَذَرك تملأُ به سَمْعِى . . . إنى تاركك حيثُ أنت ، فإذا عاد الأمير عدتُ إليك . . . ولك

الوَيْلاتُ إن تزحزحتَ عن مكانك !

عُمَرُ : ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أَعْصِى لك أمراً .

الحرسى ينصرف .
«عمر بن أبى ربيعة» يمد عينه إلى أرجاء القاعة ثم يجول فيها لحظات وهو يتفرج بما يرى ، ثم يعود إلى مكانه متململا يتنهد ، وقد لعبت به الأفكار كل ملعب ، فأسند رأسه إلى يديه.
باب ينفتح ، فيرتاع « عمر » .
وجه نسوى يطل ولا يلبث أن يتوارى ، على حين يشرئب « عمر » محدا بصره .
يعاود « عمر » إطراقه وتفكيره .
الباب ينفتح ثانية ، فيطل منه وجه نسوى آخر ، وما هى إلا أن يستخفى كما حدث من قبل ، و « عمر » مشرئب يتطلع .
أصوات نساء تهمس ، وخلاخل توسوس .

أصوات النساء (فى ترديد): إنه هو . . . هو عينُه !

لة من الجوارى يحتشدن بالباب حذرات .

الجارية الأولى: ما أَنْضَرَ لِحْيَتَه !

« عمر » يمس لحيته بأنامله .

الجارية الثانية: ما أبْهَى قَسماتِه !

« عمر » يمسح وجهه بيده .

الجارية الثالثة: لا ريبَ أنه حَضَر من أجلى ، فقد انتهى إلىَّ من شعره ما يُطابِقُ وصفى .

الجارية الثانية: بل حضر من أجلى أنا ، فقد رآنى حينَ كنتُ أَطُوفُ بالكعبة ، وجعل ينظرُ إلىَّ من طَرْفٍ خَفِىّ.

الجوارى يشتبكن فى مجادلة .

بعض الجوارى (فى اختلاط) : بل من أجلى أنا ... بل من أجلى أنا...

عمر (وقد برز لهن) : هَوِّنَّ عليكنَّ ... سأصارِحُكنَّ...

الجوارى (وقد تخطرن أمامه) : قل ... من أجلِ مَنْ حَضَرْتَ ؟

عمر (باسطا يديه) : حضرتُ من أجلكنَّ جميعا !

الجوارى (فى صوت واحد) : أحقّا ؟ أحقّا ؟

عمر : حلفتُ برأس أبى لقد حضرتُ لأستمتعَ بِمَرْآكُنَّ جميعاً يا أفتنَ غِيدِ « الحجاز » !

الجوارى يتضاحكن ، ثم يتحلقن حول « عمر » فيقول لهن :

ماذا يكون من أمرنا إن باغَتَنا الأميرُ الساعةَ ؟

الجارية الأولى: ما زِلنا فى الظَّهيرة ، والأمير لا يَئُوبُ من صيده إلا ساعةَ الرَّواح . . . نحن من وقتِنا فى فُسْحة .

الجارية الثانية: ستلبَث بقيةَ يومك فى صحبتِنا ، وإنا صانعون لك أشهى طعام عرفَتْه العَرَبُ يا أخا العربِ . . . سأُعِدُّ لك بيدى فالوذَجَة . . ألا تعرفُ اسمى ؟ أنا « فالوذَجة » . . . أتحبُّ الفالوذَجَ يا « عُمَرُ » ؟

عمر : رُوحِى فِداءٌ للفالُوذَج !

بعض الجوارى يتضاحكن .

الجارية الأولى: أعلم أنك تَعْشَق السماع ... سأُطرِبُك بغنائى . . . ألا تعرفُ اسمى ؟ أنا «هَزَار» ... ألا تحبُّ الهَزَار؟

عُمَر : إذا غَنَّى الهَزَار انقلبتْ جوارحى كلُّها آذاناً مُرْهَفة !

تهم الجارية الثالثة بالكلام ، فتبادر الجارية الأولى إلى تفويت الفرصة عليها .

الجارية الأولى: إلى البستانِ ... ما بقاؤنا هنا ؟ ... هَيَّا بنا إلى البستان .

الجوارى يأخذن بيد « عمر » إلى الباب .
« عمر » يستوقفهن ، متفرسا فيهن .

عُمَر : أَيَتُكُنَّ « الأهوازية » ؟

الجوارى يبدو عليهن الامتعاض .

الجارية الأولى: ما سؤالُك عَن « الأهوازيه » ؟

عُمَر : لا شيءَ ... لا شيءَ ... أحَرامٌ أن أسأل ؟

الجارية الثانية : شَخَصَتْ إلى « مكة » تُشرِف على قصرِ الأمير هنالك .

الجارية الثالثة: ألا نَمْضِي إلى البستان ؟ ... أهكذا نُضِيعُ الوقت ؟

الجوارى يأخذن فى الخروج مع « عمر » .
تقبل « أم حبيب » قهرمانة القصر .
الجوارى يتفرقن عن « عمر » .

أم حبيب (متفحصة « عمر ») : من يكون هذا ؟

الجارية الأولى : وهل يَخْفَى القَمر ؟

أم حَبِيب (وهى تتفحص « عمر ») : أيكون « ابنَ أبى ربيعة » ؟

عمر : فِدَاكِ عمرى ، أنا نَفْسى « عمر » !

أم حَبِيب (فى جفوة وترفع) : وهل هذا هو القَمَر ؟ ... فِيمَ قُدُومُك هنا الساعةَ ؟

عمر : دَعَانِى هنا قلبى ، فلبَّيتُ الدُّعاء !

أم حَبِيب : ما عَهِدْنَاكَ إلا خَدَّاعاً غَوِيًّا ... اخْرُج عنا ، فإن لم تفعلْ أصابَكَ ما تكره .

عُمَر : أكذلكِ تُقْصِينَنِى ، وأنا القائلُ فيك ما يُزْرِى بالدُّرَر ؟

أم حَبِيب وهل وقعتْ عينى عليكَ قبل هذه اللحظة يا كَذُوب؟

عمر : حَسْبِى أنى رأيتُكِ مرةً ، فغدوتُ بكِ مفتوناً ... أتذكرينَ فى موسم الحج يومَ تَجَلَّيْتِ فى الكعبة

تتخطّرين ؟ ياله من يوم ! . . . بل ياله من سحر !
أما بَلَغ سمعَكِ ما قلتُ فيكِ من شعر ؟

أم حَبِيب (للجوارى) : فَلْتَمْضِ كلُّ واحدةٍ منكنَّ لشأنها ،
حتى أنظرَ فى أمر هذا الرجلِ الغريب !

الجوارى يدبرن عن القاعة مثلكثات، ويقفن قريباً من الباب مستترات .

عمر (متكلفا الهيام) : هاكِ ما تغزلتُ به فيك :

كِدْتُ يومَ الرحيل أقْضِى حياتى
ليتنى مِتُّ قبلَ يومِ الرحيل
لا أُطيقُ الكلام من شدَّةِ الوَجْـ
ـدِ ، ودمعى يَسيلُ كلَّ مَسِيل

أم حبيب (لينة اللهجة) : أقلتَ هذا فِىَّ ؟

عُمَر : بِنا إلى البستان أُنْشِدكِ سائرَ الشعر .

يأخذ « عمر » بيدها ، ويسر قوله إليها ، ماضياً بها ، والجوارى فى أثرهما .

بعد هنيهة يدخل « الحجاج » فى لبوس الصيد، متقلداً سيفه ، وفى يده سوطه ، ومعه « عبيد الله بن موهب » وخلفهما تابع .

ابن مَوْهَب : ماذا أَعْجَلَ الأميرَ إلى الرجوع ؟

الحجاج (ملولا) : لم يَرُقْنِى صَيْدُ اليوم .

يتخفف « الحجاج » من ثيابه ، يعينه التابع ، ويرجل له شعره ، ويضمخه بالطيب .
« الحجاج » يتابع قوله :

لم يبقَ فى هذه البقعة غُنْم لصائد . . . إن الزبيريِّين أَفْقَروا كل شىء فى البلاد ، بادِيها وحاضِرِها ، حتى الصحارَى أَقْفَرَتْ من وَحْشِها !

ابن مَوْهَب : ولكنَّ ولايتك عليها رَدَّتْ فقرَها غِنًى ، وقَفْرَها خِصْبا . . . تلك هى ربوع «الحجاز» تزدهر وتَتَنَضَّر ، ويَشِيع فيها الأمن والسلام .

الحجاج : مازلتُ أدَّخِر لكم عزماً حديدًا ، وبأساً شديدًا . فانتظروا منِّى مَزِيدا !

ابن مَوْهَب : مَرْحَى ، مَرْحَى ، فالهِمَّة القَعْساء تُؤْتِى ثمارها فى السِّلْم كما تُؤْتيها فى الحرب . . . لقد كنتَ فى إمارة الجيش صانعَ أعاجيب ، وأنتَ اليومَ فى إمارة البلاد أحسنُ صُنْعًا !

الحجاج : ذلك فضلُ الله علينا وعلى الناس . . . دَعْ هذا ، وأخبرْنى : ماذا كان من أمر « خالدِ بنِ يَزِيدَ » معكَ ؟ هل أَبْلَغْتَه رسالتى ؟

ابن مَوْهَب : ما كاد يُلقِى عليها نَظْرَةً حتى ثار ثائرُه ، وسَرْعانَ ما مَزَّقَ الرسالةَ شَرَّ ممزَّق !

الحجاج : أَجَرُؤَ على أن يمزِّقها ؟

ابن مَوْهَب : بل زاد على ذلك قولَه لى : لولا أنك رسول ، لمزَّقْتُكَ مِثلَ الرسالةِ إرْبًا إربا . . .

الحجاج : لو مَسَّ شعرةً من رأسك بسوء ، لكان لى معه شأن أىَّ شأن .

ابن مَوْهَب : صانَ الله مولاى الأمير . . . ولـكن مولاى يعلم قَرابة « خالد » من الخَليفةِ، نَصَره الله .

الحجاج : أقَرابتُه من الخليفة تَعْصِمُه منى ؟ . . . ستنظر ما يكونُ من أمرى معه !

يصمت « الحجاج » فترة ، ثم يقول :

والقافلة . . . قافلة « دِمَشْقَ » . . . ألم تصلْ إلينا بعدُ ؟

ابن مَوْهَب. لعلها منا على مرحلة أو مرحلتين . . .

الحجاج : أَعْلِمْنى بوصولها ساعةَ تصل

ابن مَوْهَب : أَفْعَلُ يا مولاى !

صمت لحظة .

«عبيد الله بن موهب» يتابع قوله :

هل ضرب الأمير موعدَ أَوْبَتِه إلى « مكة » ؟

الحجاج : كونوا على أُهْبَة، وترقَّبوا أمرى بالرحيل .

ابن موهَب : كما يشاء مولاى . . أيأذَن لى الأمير فى الإنصراف ؟

الحجاج : انصرفْ .

لايكاد « ابن موهب » يمضى حتى يستبقيه « الحجاج » قائلا له فى لهجة إهمال :

غاب عنى أن أسألك : ماذا صنعت عند « عبد الله ابن جعفر » ؟

ابن موهَب : أنهيتُ إليه رغبةَ الأمير فى حضوره ، وإنه لحاضر .

الحجاج : على بركةِ الله . . .

يخرج « ابن موهب » .
« الحجاج » يشير إلى تابعه أن ينصرف ، فيهرول خارجا .
« الحجاج » يقصد إلى متكإ فى ركن القاعة ، فيجلس عليه مسترخيا ، وبجانبه سيفه .
تطرق سمعه ضحكات نسوية ، فينصت مهتما .
الضحكات تدنو أصواتها من القاعة ، فينهض مختبئا خلف إحدى الستائر .
الجوارى يدخلن فى هرج ومرج .
« عمر بن أبى ربيعة » يبدو وقد اعتلت كتفيه الجارية الأولى ، كأنها تمتطى جواداً .

الجارية الأولى: فارسةٌ عظيمة ، على ظهرِ جوادٍ طَيِّعٍ ذَلُول !

الجارية الثانية: ولكنكِ فارسةٌ بلا سيف !

الجارية الأولى : فى لِحَاظى غُنْيَةٌ عن الأسياف . . .

بعض الجوارى : لا غُنْيَةَ لفارس عن سيفه .

« الحجاج » يتبرى من خلف الستارة شاهراً سيفه .

الحجاج : هاكِ السيفَ !

الجوارى يذعرن ، ويتفرقن راكضات .

« الحجاج » يتلاعب بسيفه .

يقول « لعمر بن أبى ربيعة » :

أُدْنُ منى .

عُمَر (مضطربا فى وقفته) : لأمرِكَ الطاعة .

يقدم خطوة ، ولا يعتم أن يحجم خطوات .

الحجاج (عالى الصوت) : أهٰذا دُنُوُّكَ منى ؟

عمر (وهو يزداد إحجاما) : إنى دانٍ وَحَقِّكَ !

الحجاج (فى صوت أعلى من ذى قبل) : أهٰذه طاعتُك لأمرى ؟

عمر (متلجلجا) : ما عَصَيْتُ لك أمرا ، ولـكنَّ وَهَجَ هذا

السيف يُعْشِى بصرى ، فلا أدرى أأتقدَّم أنا أم أتأخَّر ؟

« الحجاج » يغمد سيفه .
« عمر » يتقدم ذليل الخطو ، بادى الانكسار ، ثم يقول ضارعا :

أمَانًا أيها الأمير . فإنى ضعيف ، وأنتَ بالضعفاء رفيق ، كما أنت للجبَّارين مُذِلّ .

يأخذ بذلا ذل ثوب « الحجاج » فيقبلها ، قائلا :

عَفْوَك عنى ، فأنتَ للعفوِ أهل .

الحجاج (مسدداً إليه نظراته) : تفاقمتْ أوزارك . هأنذا أدعوكَ إلى لقائى لأحاسبَك ، فأصيبَك فى قصرى تَعْبَث ، لا تبالى بحشمة ، ولا تعرفُ لى حُرْمة !

عمر : بل كنتُ فى خدمتك أيها الأمير . جعلتُ أُرَوِّى هؤلاء الجوارىَ بعضَ أشعارى ، عسى أن يُسْمِعْنَك منها ما تَأْنَسُ به .

الحجاج (معاتباً له) : وهل أنشدْتَهن قصيدتك التى مطلعُها :

« كدتُ يومَ الرحيل أقضِى حياتى » ؟

عمر (متلعثما من الوجل) : مولاى . . . ولاى !

تقبل « أم حبيب » لتستجلى الأمر

الحجاج (قائلا « لأم حبيب ») : لى معكِ فى شأنِ هذا الرجلِ حساب .

أم حبيب (فى خشية) : هٰذا طارئ جاءنا يَتَضَوَّر جوعا ، فأخذتْنا الرحمةُ له .

الحجاج (ساخراً) : لا بأسَ على إطعام جائع . نِعْمَ الصَّنِيعُ !

يلتفت إلى « عمر » قائلا :

أَنشدْنِى قولَك :

« كدتُ يومَ الرحيل أقضِى حياتى » .

« أم حبيب » يشتد ذعرها ...

« الحجاج » يتابع قوله « لعمر » :

لأقطعَنَّ لسانَك الذى تنالُ به كرائمَ النساء . . .

ما تركتَ حُرَّةً حتى كانتْ لها منكَ قوارص ! ...
لقد جاوزتْ الجرأةُ بك المَدَى ، فسوّلتْ لك
نفسُك أن تقولَ فى ابنة الخليفة هذه القصيدةَ
العَوْراءَ . . .

أم حبيب (مهمهمة ، فى عجب وغضب) : ابنة الخليفة ؟

الحجاج (فى حزم وحسم) : أقسمتُ أن تُنشدَنى قصيدتَك !

عمر (مختلج الصوت) : كدتُ يومَ الرحيل أقضِى حياتى
ليتَنى مِتُّ قبلَ يومِ الرَّحِيل
لا أُطِيقُ الكلامَ من شدة الوَجْـ
ـدِ ، ودمعى يَسِيل كلَّ مَسِيل

« عمر » يمسك عن الإنشاد

الحجاج (معاتباً) : زِدْنى . . زدنى !

عمر (متذللا) : أَعْفِنى أيها الأمير .

الحجاج : سأُنْشِدُك أنا :

ذَرَفَتْ عينُها ففاضتْ دموعى
وكلانا يُلْقَى بِلُبٍّ أصيل
ولقد قالتِ الحبيبةُ لولاَ
كثرةُ الناس جُدْتُ بالتقبيل
هكذا تقولُ فى عقائلِ النساء الأطهار !

أم حبيب (مغيظة من خداع « عمر » لها) : وَيْحَه من فاسق هَجَّام !

تسمع بالباب ضجة .

يبدو « خالد بن يزيد » وقد أمسك به « عبيد الله بن موهب » يحاول منعه من اقتحام الباب ، ولكنه لايفلح .

خالد : من يمنَعُنى من الدخول ؟

الحجاج : إنك لتقتحمُ علىَّ خَلْوَتى دون استئذان !

خالد (فى كبرياء) : أيستأذنُ عليك « خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاوية » ؟

الحجاج : أليس الاِستئذانُ من أدبِ الدين ؟

خالد : وهل عرَفتَ أنتَ للدين أدباً يُرْعَى ؟

« الحجاج » يشير بيده إلى حرسى إشارة يفهم بها أنه يأمر بأخذ « عمر بن أبى ربيعة » والخروج به ، فيفعل .
وكذلك تخرج القهرمانة « أم حبيب » .
« خالد بن يزيد » يتابع قوله :

كيفَ استبحتَ لنفسك أن تكتبَ إلىَّ ما كتبتَ ؟ أقادرٌ أنتَ على أن تَحُولَ بينى وبينَ أن أتزوجَ مَنْ أختار ؟

الحجاج : طلبتُ إليك ما طلبتُ طوعاً لسياسة الدولة ، وابتغاءَ لخيرِ الأمة .

خالد : اِعلمْ أنى متزوجٌ « رَمْلَةَ » ، سواءٌ علىَّ رَضِيتَ أم كنتَ من الكارهين !

الحجاج : تتزوجُ « رَمْلَة » ؟ . . . ذلك العَجَبُ العاجِب !

ابن مَوْهَب : هل نَسِىَ مولاى « خالد » أن « رَمْلَةَ » أختُ « عبد الله بن الزبير » ، ذلك الذى أثارها عليكم عَدَاوَةً لَدَّاء ؟

خالد : إنما أطلبُ بهذا الزواج غَرَضاً بعيداً . وللسياسة مآربُ ووسائل .

الحجاج : خَلِّ عنك السياسةَ ومآربَها ، فما كنت من رجالها يوماً . . . أَنْصَحُ لك يا « خالد » أن تفرُغ لِطِبِّك وكيميائك ، فأنتَ بهما أبصر .

أصوات جموع تتصايح هاتفة « للحجاج »

أصوات الجموع : بورِكَ فى سماحة الأمير . مَرْحَى لواسع العطاء !

« الحجاج » يقصد إلى النافذة ، فيطل منها .
الجموع تزداد حماسة فى الهتاف والتصايح :

أعزَّ الله الأمير . . . دامتْ فواضلُ الأمير !

يرجع « الحجاج » إلى مكانه طلق الوجه .

ابن موهَب : أولئك هم الذين غَمَرْتَهم بالعطايا ، قَدِمُوا عليك يشكرون لك الجميل .

خالد (للحجاج) : إنك تشترى من هؤلاء البائسين الضعفاء ذِمَمهم بما بين يديك من مالِ الله !

الحجاج : لقد عَضَّتْهم المجاعة ، وما كنتُ لأدَعَهم بلا عَوْن . لا يجوع الناسُ فى رُبوع « الحجازِ » و « الحجاجُ » عليهم أمير !

خالد : لا تذكرْ عهدَك فى « الحجاز » ، فهو عهدُ العَسْف والجبَروت . أولئك هم الصحابةُ وأهلُ البيت قد لَقُوا على يديك من الضَّيْم والإعنات ما لم يشهَدْ مثلَه أحد .

الحجاج : لم أتعمَّدْ بعقوبتى إلا من مَرَدُوا على الدولة ، وكادوا للخليفة . وإنى دائمًا لَبالمِرْصاد . . .

الهتاف « للحجاج » يتصاعد ، فيضيع فى ضجته صوت « خالد » .

خالد : حَذارِ أن تَمُدَّ سلطانَكَ إلى من لستَ لهم نِدًّا . . . هذا تحذيرِى إياك ، وبعدَ التحذير تَدْبير !

يتخذ طريقه إلى الباب ثائر النفس .
« الحجاج » يشيعه بضحكات استهزاء .

يخطو إلى النافذة معللا على الجموع :
« ابن موهب » ينصرف لاحقاً « بخالد » .
آذن يقدم .

الآذِن : أتى « عبد الله بن جعفر » تلبيةً لدعاء الأمير .

الحجاج : فليدخُل .

يقبل « عبد الله بن جعفر» رزين الخطا ،
عليه مهابة .

ابن جعفر : سلامٌ على الأمير .

الحجاج : وعلى « ابن جعفرٍ » السلامُ ، وله الحفاوةُ والإكرام . . .

يجلسه بجواره على متكإ .
يقول للآذن :

شرابَ الورد للضيفِ المعزَّز . . .

الآذن يومئ إيماءة الطوع ، ويمضى عن القاعة .

ابن جعفر (فى توفر عليه مسحة من الاستطالة) : كرَّمنى الأمير بدعوته . . . فهل من خِدْمة أقدِّمها إليه ؟

الحجاج : تاقتْ نفسى إلى لقائك ، طَلَبًا للأنس بمجلسك ، والتمتع بحديثك . وإذا شئتَ أن تستمعَ إلى بعض الأصوات الحِسان أسمعتُك ، فأنتَ بالغناء وَلُوع ، ولكَ بالألحان معرفة .

ابن جعفر : ذلك ما حَزَرْتُه وقَدَّرْتُه ، فقد عرفتُ هَواك للسَّماع مثلى . ولهذا أقْدَمتُ معى قَيْنَةً صوتُها يسحَرُ الآذان . . . هلا تَدْعُوها الآن ؟

الحجاج : ندعوها بعد حين . . . إنى شاكر لك رِقَّةَ مجاملتك .

الآذن يرجع بالشراب أكوابا ، فيضع الصينية ثم ينصرف

« ابن جعفر » و « الحجاج » يشربان .

« الحجاج » يستأنف قوله :

كيف ترى أحوالَ الدولة فى عهد المرْوَانية ؟

ابن جعفر : إنك لتعلم أنى شيخ من شيوخ الطالِبيِّينَ ، طالما

كان حَرْبًا على بنى أُمَيَّة، فماذا أنتَ طالبٌ إلىَّ مِنْ رَأْى ؟

الحجاج : ذلك أمْسٌ مَضَى . أما الآنَ ، فقد صارتْ الأمور إلى مستقرِّها ، وصَفَتْ القلوبُ من بَغْضائها . . . وإنكَ اليوم إلينا حبيب . . . إيهٍ يا « بْنَ جعفر » ... ما قولُك فى سياسة الدولة ؟

ابن جعفر : لا شك أنك بدخائل الأمور أدرَى . ألستَ تَرَى البلادَ تَمِيدُ بها الزعازع ؟ الحقُّ أن « بنى مَرْوانَ » لا يحسنون اختيارَ الوُلاَة !

الحجاج (متبسما) : عنَيْتَ الوُلاةَ جميعاً ؟ !

« ابن جعفر » يلوذ بالصمت .
« الحجاج » يبدو عليه الاهتمام ، ويقول :

لا تكتُمْ جوابَك عنى . .

ابن جعفر : لقد دعانى الأمير إلى مؤانَسة وسَماع !

الحجاج : ستُصيب ما دعوتُك إليه ، ولكن لا بدَّ أن تصارحَنى برأيك فى والِى « الحجاز » . . . فى « الحجاج » . . فىَّ أنا يا « بنَ جعفر » !

ابن جعفر : دَعْ ذَا أيها الأمير . . .

الحجاج : ماذا يمنَعُك أن تقولَ رأيَكَ ؟

ابن جعفر : يميناً لو علمتُ أنك دعوتَنى لمثل هذا لَمَا خَطَتْ إليك قدماى !

الحجاج : إذا أبَيْتَ أن تخبرنى برأيك فى « الحجاج » والياً ، فأخبرنى برأيك فيه خاطباً لإحدى كرائم النساء !

ابن جعفر : زِدْنى بياناً أيها الأمير .

الحجاج (مفاجئاً) : إنى خاطبٌ إليك ابنتَك . .

« ابن جعفر » يدهش .

« الحجاج » يتم قوله :

ابنتَك « أمَّ كُلْثُوم » !

ابن جعفر (متلطفاً) : لايغيبُ عن فِطْنَةِ الأمير أن للهاشميَّاتِ في زواجهنَّ أوضاعًا لا بدَّ أن تُرْعَى .

الحجاج : إنى مُمْهِرُها تسعينَ ألفَ دينار . . . تسعينَ ألفًا عَدًّا و نقداً !

ابن جعفر : إننا لا نُسْلِم بناتِنا لقاء مال ، وإن كَثُر !

الحجاج : أتأبَى أن أُصْهِرَ إليك ؟

ابن جعفر : أنا هاشمىٌّ أيها الأمير !

الحجاج : لستُ أهونَ منك نسبا ، ولا أقلَّ حسبا . . . أنا ابنُ الأشياخ من « ثَقِيف » ، والعقائلِ من « قُرَيش » . . . أنا الوالى على «الحجاز» و «اليمامةِ» و «اليَمَنِ» . . . أنا « الحجاجُ » !

ابن جعفر : الولاياتوإن تسامَتْ لا تَطُولُ شَرَفَ « بنى هاشم » .

الحجاج : يا لَلّهِ من غُرور الهاشميين ، وقد أناخَ عليهم الزمان !

ابن جعفر : ها أنتَ ذا يا « حجاج » تلتمسُ بمصاهرتهم كَسْبًا

لعِزٍّ منيع ، وشرف رفيع !

الحجاج : بل إنى لأريد أن أرُدَّ عليهم بعضَ ما فقَدوا من عِزَّة ومَقام . . .

ابن جعفر : وإذا أبَيْتُ خِطبَتَكَ لابنتى ، فماذا أنتَ فاعل ؟

الحجاج : لا تُرِدْنى على شىء لا تَحْمَدُه .

تقتحم القاعة فتاة مختمرة .
« الحجاج » و « ابن جعفر » ينظران إليها .

ابن جعفر : تلك هى القَيْنَةُ التى أقْدَمْتُها معى .

الحجاج (للقينة) : كيف سَوَّلَتْ لكِ نفسُكِ أن تهجُمى علينا فى خَلوتنا ؟

القَيْنة : عَفْواً مولاى . . . خُيِّلَ إلىّ أنى سمعتُ صوتَ الأمير يدعونى ، فاستجَبْتُ !

ينهض « الحجاج » إليها مغضبا ، وقد رابه صوتها . . .
ينزعها خمارها ، فإذا هى فتاته « الأهوازية »

الحجاج (لابن جعفر) : هذا كَيْدُكَ لى !

ابن جعفر : أىّ كيد ؟

الأهوازية : « ابنُ جعفر » بَرِىء مما تَرَى ... التَّبِعَةُ علىّ وحدى !

الحجاج : أمرتُكِ أن تدخُلِى «مكة» ، فكيف عَصَيْتِ أمرى ؟

الأهوازية : لم يكن فى وُسْعِى إلا أن أتخلفَ عن الرَّكْب ...

تقول « لابن جعفر » :

اغفِرْ لى أنى اتخذتُك وسيلةً لتحقيق ما بَغَيْتُ .

ابن جعفر : يالكِ من ماكرة !

يقول « للحجاج » :

لا مُقَامَ لِىَ الآنَ ... إنى منصرف .

الحجاج : لا تنسَ ما تحدثْتُ إليكَ فيه .

ابن جعفر : سأنظر . .

يخرج من القاعة .

الحجاج (وهو يرى «الأهوازية» بنظرات عامية) : سَتَلْقَيْنَ عاقبةَ طَيْشك !

الأهوازية : أنتَ أَرْحَلْتَنِى لِيَخْلُوَ لك الجوّ ، فَتَفْرُغَ لِابنة «عبد الله بن جعفر» ، ولكنى رجعتُ لأُفْسِدَ عليكَ خُطَّتَك .. لجأتُ إلى بيت «عبد الله بن جعفر» ، ورصدتُ ، الفرصةَ حتى رَضِىَ أن يُقْدِمَنِى إليك .

الحجاج : ما أعجبَ جُرْأتَكِ !

الأهوازية : طاوعتُ هاتفَ قلبى ... هَلاَّ رَحِمْتَ هذا القلبَ ؟ !

الحجاج : ما شأنُك بزواجى ؟

الأهوازية : أنت تمزّق قلبى بهذا القول .

الحجاج : ما لقلبِك ولزواجِى بنتَ «ابنِ جعفر» ؟

يهم بالسير .
« الأهوازية » تعترض طريقه .

الأهوازية : قل لى : أتُحِبُّنِى ؟

« الحجاج » يتابع سيره غير معنى بها ،
تلحق به وتقف قبالته ، قائلة له :

أَجِبْنِى : أتحبُّنِى ؟

الحجاج : يا لله منكنَّ أيتها النساء !... « أتحبُّنِى » ؟ كلمة واحدة تدور على ألسنتكنَّ ، ولا تفتأُ تدور !

الأهوازية : ماذا يَمْنَعُكَ من الجواب ؟ أتحبُّنى ؟

الحجاج (وهو يتأملها) : لستُ أدرى على وجه التحقيق ...

الأهوازية : بل إنك تحبُّنى ... أليس كذلك برَبِّك ؟

يبتسم « الحجاج » ويهم بمتابعة السير .
تعترض طريقه قائلة :

لا تتزوجْها ... لا يكونُ بينكما رِباط !

الحجاج : أنتِ تأمرينني ؟

الأهوازية : أنا لا أَمْرَ لى ... إنما الحبُّ وحدَه هو الآمرُ الناهى !

الحجاج : واهاً لهذا الحب !

الأهوازية : الحبُّ مِلْءُ قلبى وسَمْعِى وبصرى .. إنه شُغْلُ حياتى جميعاً .

الحجاج : هذا شأنُكِ مع الحب ، أما أنا فلى غيرُ هذا الشأن ...

الأهوازية : إنها مطامحُ المجد ، وخُيَلاءُ العظمة .

«الحجاج» ينظر إليها بمجامع عينيه
«الأهوازية» تتابع قولها :

ولكنك بلغتَ من المجد والعظمة ما فيه غَنَاء ...
فماذا أنتَ طالبٌ فوقَ ما بلغتَ ؟

«الحجاج» صامت لا يجيب
«الأهوازية» تتابع قولها :

هادِنْ نفسَك قليلا ... أنتَ قريبُ عهدٍ بالخلاص من مكارِهَ وأحداث ... فلماذا لا تغتنمُ وقتَك لتحيا فترةَ هناء وصفاء ؟

الحجاج : أنت تَهْذِين ...

الأهوازية : أنا لا أهذى ، وإنما لك أَنْظُرُ ، وبِكَ أُشْفِق ... أريد أن أسهرَ على راحتك وهناءتك ... أريد أن أبذُلَ عمرى فى سبيل مَرْضَاتك ... أنا خادمتك ... أنا لكَ ما حَييتُ ... أجبْنى : أما زلتَ مُصِرًّا على أن تتزوجَ ابنةَ « عبدِ الله بنِ جعفر » ؟

الحجاج : لَا عليكِ من هذا الزواج ... فإن الصلةَ بينى وبينك لا ينالُ منها شىء .

الأهوازية : أريد أن يكونَ قلبُك لى وحدى ، لا تُشْرِكُ بى أحداً .

الحجاج : ليهدَأْ بالُكِ ..

الأهوازية : أَعْجَبُ العجَب أنك تمنعُ « خالدَ بنَ يَزِيدَ » أن يتزوجَ « رَمْلَةَ » أختَ « عبدِ الله بنِ الزُّبَيْر » لمكان العداوة بين الزبيرية والأُموية ، ثم إذا أنتَ

تخطبُ ابنةَ « عبد الله بن جعفر » الهاشمىّ ، غيرَ عابئ بما بين بَنِى أُمَيَّة والطالبيين من عداء وبغضاء !
ألا تخشَى أن يسخرَ الناسُ منك ؟

الحجاج : هذا تدبيرٌ بعيدُ الغَوْر ، وإنى أستهدِى فيه سياسةَ الدولة .

الأهوازية : أسياسةُ الدولة تجعَلُ أقطابَها سخريةً بين الناس ؟

الحجاج : هذه هى السياسةُ إذاطاب لك أن تَسْبرِى أغوارَها.

الأهوازية : لا تَعنينِى السياسةُ فى قليل أو كثير ، ولكن يَعنينى أن أعرف : عَلامَ استقرَّ رأيُك فى شأن ابنةِ « عبدِ الله بن جعفر ؟ »

الحجاج : سأفكر ماذا أصنع ؟

الأهوازية : عِدْنى ألَّا يكونَ هذا الزواج .

الحجاج (مبتسما فى خبث) : ليس من السياسةِ بَذْلُ الوعودِ قبلَ التفكير . حسبُك أن تَثِق بإعزازِى لك ، ورِفْقِى

بكِ . . . تَعالَىْ . . .

تقبل عليه ، فيتلطف بها .

الأهوازية (متعلقة به) : دَعْنى من السياسة وأفاعيلها ... وأخبرْنى بما يُطَمْئِنُ قلبى . . . ألم تَعدِلْ بعدُ عن خِطْبَةِ ابنةِ « عبد الله بن جعفر » ؟

الحجاج : إكراماً لكِ عَدَلْتُ !

الأهوازية : أخشَى أن يكونَ قولُك هذا لوناً من ألوان السياسة.

الحجاج (متضاحكا) : ما أبعدَ السياسةَ عن عواطفِ القلوب !

يلاطفها وتلاطفه

ن يقدم .

الآذِن : قدِمَتْ القافلةُ من « دِمَشْقَ » ، وها هو ذا « ابنُ مسعود » ينتظر أمرَ مولاى .

الحجاج (مهتاجا) : دَعْه يَدخل من فوره . . .

يشير إلى « الأهوازية » أن تمضى ، فتفعل .
الآذن يخرج ، وسرعان ما يرجع « بابن مسعود »
ويرتد خارجا .

« ابن مسعود » يحيي « الحجاج » فى إجلال .
« الحجاج » يقبل عليه مشغوفا يقول :

ماذا وراءكَ يا « بْنَ مسعود » ؟

ابن مسعود : أمير المؤمنين فى حَيْرةٍ من أمره . ثورات «العراق» تُقِضُّ مَضجَعه !

الحجاج : وماذا يصنع هُناك وَاليها أخو الخليفة ؟ . . . وَاليها « بِشْرُ بنُ مَرْوانَ » ؟

ابن مسعود : لقد استبان عَجْزُه ، وضَعْفُ حيلته ، حتى استفحلَ أمر الخوارج فى « فارس» . لا أحسَبُ أن « بِشراً » يبقَى والياً على « العراق » طويلَ وقت . . .

الحجاج : أيَعْزِل الخليفةُ أخاه ؟ .

ابن مسعود : إن « بِشرا » يُعانى المَرَضَ العُضَال ، فهو على شَفَا هُلْك . ومن يَدْرِى ؟ فربما كان الآنَ فى عِدَادِ الرَّاحِلين !

يميل على « الحجاج » مسراً إليه قوله :

« العراق » يتطلب والياً قوىَّ الشَّكيمة ، صُلْبَ القناة ، يأخذُ الناس بالحزم ، ويُلزِمُهم الطاعة .

الحجاج : وهل اختارَ أميرُ المؤمنين خَلَفاً « لبشر » ؟

ابن مسعود : لم يَعُد « الحجازُ » مَثارَ فتنة ، فإنكَ قَمَعْتَ فيه الشرّ ، وبَسَطْتَ عليه ظِلَّ الأمن . وليس بضائرٍ أن يتولَّى زِمامَه الآنَ رجلٌ غيرُك ...

الحجاج : أحسنتَ . . . سنرحَل معاً إلى « دِمَشق » !

« الحجاج » يستغرق فى تفكيره هنيهة . يصيح :

يا غلامُ . . . يا غلامُ . . .

آذن يقدم ، فيقول له « الحجاج » :

علىَّ « بِعُبَيْدِ الله بن مَوْهَب » . . اعجَلْ !

ينحنى الآذن ، ويخرج مهرولا .

« الحجاج » يقول « لابن مسعود » :

اذهبْ نخذ قسطَك من الراحة ، وسأدعوك بعدَ حين

يخرج « ابن مسعود » .
« الحجاج » يذرع القاعة مهمهما :

« العراق » . . . « العراق » . . .

يقدم « عبيد الله بن موهب » .
« الحجاج » يقول له :

هل الخيلُ على أُهْبَةِ السَّيْر ؟

ابن مَوْهَب : إنها متأهِّبة يا مولاى .

الحجاج : سنرحَلُ عَمَّا قليل . . . سنرحَلُ إلى « دِمَشْق » .

ابن موهَب : « دِمَشْق » ؟... أثَمَّةَ جديد من الأمر أيُّها الأمير ؟

الحجاج : لقد وعدتُ الخليفةَ أن أَفِدَ عليه فى جَمْعٍ من سادة « الحجاز » وكبرائه ، ليقدِّموا له البَيْعَة .

«الأهوازية» تقبل حاملة صينية عليها شراب .
« الحجاج » يتابع قوله « لابن موهب » :

أنتَ تعرف أولئك السادةَ والكُبَراء ، فأَبْلِغْهُم أمرى إليهم بالتأهُّب للرحيل .

« ابن موهب » ينحنى علامة الإيجاب .
« الحجاج » يقول « للأهوازية » :

ما هذا الشراب ؟

الأهوازية: هذا لَبَنٌ مُزِجَ بعسل . . . شرابُك المختار .

الحجاج : لا أجد الآنَ لى شَهْوَةً لِشَراب .

يقول « لابن موهب » :

لا تنسَ أن تبعثَ إلى « عبد الله بن جعفر » أن يُجَهِّزَ ابنته للسفر ، فستكونُ فى حاشيتى إلى « دِمَشْق » . إنى قادمٌ بها على دار الخلافة ، برهاناً على وَلاَء الطالبيِّينَ لأمير المؤمنين . . . اِمضِ لإنفاذِ ما رغِبْتُ إليكَ فيه .

ينحنى « ابن موهب » ويغادر القاعة .

الأهوازية (للحجاج) : أنت شاخصٌ إلى « دِمَشْق » . . .

الحجاج (وهو ذاهب آيب) : الساعةَ !

الأهوازية : وابنةُ « عبد الله بن جعفر » فى حاشيتِكَ . . .

الحجاج : زوجاً لى . . . ذلك ما بَنيتُ عليه عزمى ، حتى يطْمَئنَّ الخليفةُ إلى أن الطالبيِّين قد دخلوا فى طاعة المَرْوَانيَّة .

الأهوازية (بعد لحظات صمت مضطرب) : وأنا ؟ . . أَحْسَبُ أنه لا مكانَ لى فى ركبك إلى « دِمَشق » !

الحجاج : إذا طابَ لك أن تكونى معِى فَذَاكِ .

الأهوازية : لا أكونُ معكَ ، وبنتُ « عبد الله بن جعفر » فى حاشيتك ، زَوْجًا لَكَ !

الحجاج : إذن فاقعدى هنا ، حتى أرجعَ إليكِ . . .

الأهوازية : لستُ بقاعدة !

الحجاج (مائلا أمامها) : ماذا أنتِ صانعةٌ إذن ؟

الأهوازية : لا أقيمُ فى قصرك ، ولا أُصْحَبُكَ فى سفرك !

الحجاج : فما نِيَّتُكِ أيتها الشَّغُوب ؟

الأهوازية : لا شأنَ لكَ بما أَنْوِى . .

الحجاج : ما إخالُكِ إلّا تُضْمِرِينَ لى كيداً !

الأهوازية : ألم تَذُقْ يوماً كَيْدَ النساء ؟

الحجاج : صُونِى لسانَكِ عن هَذرِه .

الأهوازية : سأُطْلِقُ للسانى عِنانَه . . . ليس فى مُسْتَطاعِ أحدٍ أن يمنَعَنى من قولِ ما أريد .

الحجاج : فى مستطاعى أن أمنعَكِ متى شئتُ .

الأهوازية : خَفْ على نفسِك يا « بنَ يوسُفَ » من غضبةِ المرأة . . غضبةِ المرأة إذا جُرِحَتْ فى أنفسِ شىءٍ تحرِص عليه : عِزَّةِ نفسها !

الحجاج : ما شأنُ عزةِ نفسِك فيما نحنُ فيه ؟

الأهوازية : أنتَ أعْجَزُ من أن تفهمَ عِزَّةَ النفس !

الحجاج : اِخْرَسِى يا وَقاحُ !

يرفع السوط فى وجهها .

يهم بضربها .

الأهوازية : اِضرِبْ ما بدا لك أن تضربَ . . . فهيهاتَ أن تكون يدُك أقسَى من قلبِكَ !

يقذف بالسوط فى وجهها
يخرج كالعاصفة :
«الأهوازية» تشيعه بقولها :

لا خَلاصَ لك منى برحيلِكَ . . . سترانى دائما نُصْبَ عينيك ، أُعكِّر عليك صَفْوَ يومك ، وأملأُ بالفزع أحلامَ نومِكَ . . . ستجدنى حَيْثُمَا حَلَلْتَ ، كائدةً لَكَ ، ماكرةً بِكَ . . . لن تَعْرِفَ نَفسُك للسَّكِينةِ طَعْما !

تخر على الأرض صائحة مولولة ينتابها نشيج .

الفصل الرابع

يوم من أيام العام الخامس والسبعين للهجرة .
البهو الأكبر من قصر الإمارة « بالكوفة » بعد ثلاثة أيام من حلول « الحجاج » بها والياً على العراقين : « البصرة » و « الكوفة » .
تبدو من القصر شرفة تطل على ساحة ، ونافذة تنظر إلى النهر .
« الحجاج » يقدم فى جمهرة من قواد وأجناد ، ومن حشم وأتباع . بينهم : « عنبسة بن سعيد » و « عبد الرحمن بن عبيد التميمى » و « ابن مسعود » و « أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى » و « عبيد الله بن موهب » .

الحجاج (مردداً) : هٰذَا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّى زِيَمْ ... هذا أَوَانُ الشَّدِّ فاشتدِّى زِيَمْ !

ابن مَوْهَب : بلغتَ فى الشدَّة منتهاها ، بل جاوزتَ مَداها ...

الحجاج (ملتفتاً إلى صاحب الشرطة « عبد الرحمن بن عبيد التميمى ») : لقد

أجَلْتُ أهلَ « الكوفة » ثلاثةَ أيام يخرجون خلالها ليَلْحَقوا « بالمهلَّب » فى « رَامَهُرْمُزَ » . . .
وهذا ثالثُ الأيام . فماذا عندَك من نَبَإِ الناس ؟

عبد الرحمن : أطاعوا وانصاعوا . وما منهم أحدٌ إلا خرجَ أوْ على أُهْبَة الخروج .

عَنْبَسَة : وماذا كنتَ تظُنُّ أن يفعَلَ الناس ، وقد طلعتَ عليهم طَلعتَك التى لم تكنْ لهم فى حِسْبان ؟

ابن مَوْهَب : لقد شَهِدَ الأمير كيف استقبلوه أولَ وَهْلَة ، عُصاةً ثائرين ، لا طاعةَ عندهم ولا إذعان . فأما الآنَ ، ولم يَمْضِ على دخول الأمير إلا ثلاثةُ أيام ، فقد خَمَدَتْ الثورة ، وعَنَتْ الوجوه .

عبد الرحمن : ما كاد الأمير يَقْرَع أسماعَ الناس بخطبته يومَ دخوله « الكُوفَة » حتى انخلعتْ القلوبُ من خشية وارتعاب ، فلم يبقَ للعِصيان مكان . . . ألم

يقل فى خطبته للناس : إنى أرَى رءوساً أينعتْ وحانَ قِطَافُها ؟

الحجاج (صائحاً ، يتم قوله) : وإنى لصاحبُها !

«الحجاج» يصمت لحظة ، ثم يقول :

حَلَفْتُ لا أُعْتِقُ رءوس الناسِ من رِقِّ السيف إلا إن أَوْدَعُوها ذِمَّةَ «المهلَّب» . لقد طال وقوفه عاجزاً أمام أولئك الخوارج ، ينادِى ولا من جواب. لَأَمُدَّنَّه بجيشٍ لَجِب ، حتى لا يكونَ له عذر فى النكوص عن تلك الفئةِ الباغية .

عبد الرحمن : لقد حانتْ ساعةُ الفصل ، ولاحتْ بشائرُ النصر .

الحجاج (لابن مسعود) : لمحتُ وأنا على المِنْبَرِ أولَ مِنْ أمسِ فتًى ملثَّماً بَرّاقَ العينين ، كان يرنو إلىّ ، ويميلُ على رفاقه هامساً .

ابن مسعود : كان فى المسجد ملثَّمون كثير ، لم يَرِبْنِى منهم

أحد . . . لماذا لم يُشِرْ إلىَّ الأميرُ أن أشُدَّ على هذا الفتى الذى رابَه أمره ؟

الحجاج : أفَحَسِبْتَنِى أُقيمُ وزناً لأولئك القاعدين الذين تَبْرُقُ عيونُهم ولا تبرُقُ سيوفهم ؟!

يلتفت إلى « أبى بردة » صائحاً :

« أبا بُرْدَة » . . .

أبو بُرْدَة : مولاى .

يقترب من « الحجاج » .

الحجاج : ماذا فعلتَ فيما نَدَبْتُكَ له عند « هنـد » بنت « أسماء » ؟

أبو بُرْدَة : أنهيْتُ إليها رغبةَ الأمير فى أن يكفُلَ طفليها .

الحجاج : رأيتُ ألا أتخلَّى عن هذه المهمّة .

أبو بُرْدَة : حقًّا طلبتَ ، وخيراً بَغَيْتَ . . . كانت « هند » زوجا « لبِشْرِ بن مَرْوان » أخى الخليفة ، وهذان

الطفلان له منها ، وما يَليقُ أن يَكْفُلَ أبناءَ الأمراء إلا الأمراء !

عَنْبَسة (فى دعابة لها مرى) : أضفْ إلى ذلك يا مولاى أن « هنداً » تَشْغَلُها نفسُها عن تنشئة طفليها ، فهى ذاتُ حُسْن ودَلّ ، وهى بحسنها مَزْهُوَّة معجَبة . فما أشغلَها عن تعهُّدِ الطفلَيْنِ بتعهُّدِ الجمال وإزهارِه !

الحجاج : ترامتْ إلىّ أحاديث تصفُ وَسامتها . . . أفهى بالغةٌ ذلك المبلغَ من الوسامة ، أم يبالغُ الناس ؟

أبو بُرْدَة : لقد صاغَها الله يا مولاى فوقَ وصف الواصفين .

ابن مَوْهَب : الناس يَغْلُون فى أقوالهم غُلُوًّا كبيراً .

أبو بردة : لا يا « بنَ مَوْهَب » . . . فقد رأيتُ « هنداً » بعينى ، واستمعتُ إليها بأذنى ، فلا وربِّك ما طالعتُ وجهاً أَصْبَحَ من وجهها ، ولا وربك ما سمعتُ حديثاً أَعذبَ من حديثها . . . وما شئتَ

من قَوَام فارع ، وخَصْر نَحِيل ، وأوصالٍ رَيَّانة . . .
تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين !

عَنْبَسة (منتشياً) : إيهٍ « أبا بُرْدَةَ » لا فُضَّ فُوك . . .
ما أحسَبُك إلا صادقاً فيما تصف من فتنة « هند » ،
فقد تعلق بها « عُرْوَة بنُ الزبير » ولم يَقِرّ له قَرار
حتى تزوجها ، وظلّ معها حتى قَضَى . ثم أحبَّها
الأمير « بشرُ بنُ مروان » فتزوجها كذلك . . .

بعد لحظة يقول « للحجاج » :

ما أجدرَ « هنداً » بأن نلقِّبَها : زوجةَ الأمراء ،
يَرِثُها خالفٌ عن سالف ، كما يرث الإمارةَ سواء
بسواء . والرأىُ عندى أن يُبْقِيَ الأمير على هذه
السُّنَّة الحميدة !

الحجاج (متضاحكا) : ما أَوْلَعَك بالهَذَر يا « عَنْبَسَة » ! . . .

عنبسة : أَظَنَّ الأمير أنى أقول هَذَرا ؟ لقد أصبحتْ

« هند » جزءاً من ولاية العراق ، فمن كان على «العراق» أميرًا وجبَ أن يكون « لهندٍ » زوجاً .

الحجاج : بين يدينا من جِسام الشئون ما يَصْرِفنا عن ذلك .

أبو بردة : إن « هندا » لا تُطْلَب لجمالها وحدَه ، فهى بنتُ « أسماء بن خارِجَةَ » عظيمِ « الكوفة » ، وسليل المجد المُؤثَّل ، والحَسَب العريض .

الحجاج : حسبُكم خَوْضاً فى هذا الحديث ... خذوا فى حديثٍ غيرِه .

يلتفت إلى « عبد الرحمن التميمى »

« عبدَ الرحمن » . .

عبد الرحمن (مقترباً من « الحجاج ») : مولاى .

الحجاج : اِمضِ إلى كاتب الأعطِيَات ، فأَحْصِ معه من ضُرِبَ عليهم البَعْث إلى « المهلَّب » ... وانظُرْ من تخلَّفَ ، فأْتِنى باسمه .

عبد الرحمن : أَفْعَلُ يا مولاى .

الحجاج : والله لأسوقَنَّهم سَوْقَ النَّعَم . . . هـذا يومُ « الكوفة » ، وليكونَنَّ « للبصرةِ » غَدٌ قريب ... لِزَامٌ أَن تَخْفُقَ أَلوية الطاعة على ربوع العراقَيْن .. هذا أَوانُ الشَّدِّ فاشتدِّى زِيَمْ !

يواجه الجمع مشيراً إليهم بيده ، قائلا :

انصرفوا لشئونكم . . . إنى لاحقٌ بكم بعد قليل .

يأخذ الجمع فى الخروج .

« الحجاج » يشير إلى « ابن مسعود » ألا يخرج ، ويجتذب يد « أبى بردة » مستبقياً إياه

الحجاج (لأبى بردة ، فى ملاطفة وتضاحك) : عجيبٌ ما تحدَّثتَ به فى شأن « هند » !

أَبو بُرْدَة : والذى نفسى بيده ما غاليتُ فيما قلتُ .

الحجاج : أَهى على ما وصفتَ من حُسن ؟ . . .

أَبو بُرْدَة : لقد جمَعتْ ما تفرَّقَ فى النساء من مَفاتِنِ النساء !

الحجاج : وماذا يكون من أمر طفليها ؟

أبو بُرْدة : أَمْثَلُ التدابير ألا تَفْرُقَ بينهما وبين أُمهما . لقد سَمَتْ نفسُك إلى أن تكفُلَ الطفلين ، فما ضرَّك لو ضممتَ إليهما الأمّ ، فتجمعَ بذلك شَمْلَ الأسرة ، وتَجْبُرَ خاطرَ هذه الوالدة . . . ؟!

الحجاج : حقًّا .. إن هذا التدبير ينطوى على رِفْق ومَرْحمة... ولكنّ هنالك جانبًا يَعْنِينى أكبرَ ما يَعنينى، ذلك هو الجانبُ السياسىّ . فأنا إن تزوجتُ بنت « أسماء بنِ خارجة » تألفْتُ بذلك قلوبَ أهلِ « الكوفة » . . فهذا الزواج ضرورة لها شأنُها فيما نحن بسبيلهِ من القيام بالأمر ، والعملِ على استقرارِ الحال فى ولاية « العراق » !

أبو بُرْدة : دَعْ لى أن أمهِّدَ الأمرَ أيها الأمير .

الحجاج : اِمضِ على بركة الله ، ولك العطاء جزيلا !

أبو بردة : مَدَّ الله فى عمر الأمير ، وأَنعَمَ عليه بالذرية الصالحة !

ينصرف « أبو بردة » .

الحجاج (لابن مسعود) : و« الأهوازية » . . . ألم يَطْرَأْ عليك من أنبائها عِلْم ؟

ابن مسعود : منذ هَرَبَتْ من « المدينة » ، على أَثَرِ رحيلك إلى « دِمَشْق » ، لم أعلم من أمرها شيئا !

الحجاج : هذا عجيب . . .

ابن مسعود : لقد بثثتُ فى طلبها العُيُونَ والأرصاد ، فلم يقفوا لها على أَثَر ، وإنهم ليَجِدُّون فى تَصَيُّد أخبارها هنا وهنالك . . . أكاد أقطَع بأنها فى « فارسَ » لاحقةٌ بالخوارج !

الحجاج : انْشُدُوها حيث كانت . لا تَفْتُروا . . .

ابن مسعود : إنا واجدُوها لا محالةَ ، فليهدأ بالُ الأمير .

الحجاج : أريدها لأتولَّى تأديبها ، ولأُرِيَها عاقبةَ الرعونة والجموح !

يذهب إلى الشرفة فيسرح بصره لحظة .
ثم يعود :

يا لَهَا من امرأة !

ابن مسعود : ما عرفتُ امرأةً مثلَها فى غرابة أطوارها .

الحجاج : لقد توهجتْ فيها خصائصُ الأنثى ... ولكنها لا تصلُح إلا لرجلٍ يَفْرُغ لها ، لا يكونُ له من شُغْلٍ سواها . . .

ابن مسعود : شَدَّ ما هى متولِّعة بالأمير !

الحجاج : لا بالَ عندى لهذا التولُّع .

ابن مسعود : لقد كان حبُّها إيَّاكَ شُغْلاً لها شاغلا !

الحجاج : تلك هى محنتُها ، ولا يدَ لى فيما تُعانيه . . .

ابن مسعود : يغفِرُ لى الأمير أن أسأله : ألا يُضمرُ لها حبًّا ؟

الحجاج : غِرٌّ أنت حَقًّا . . . أَحَسِبْتَنِى عاشقًا ؟

جلبة وضوضاء من وراء الشرفة .
يدخل « عبيدالله بن موهب » و « عنبسة بن سعيد » ومعهما طائفة من الأتباع .

ابن مَوْهَب : كثير من الناس ضائقون بما ضُرِبَ عليهم من البعث إلى « المهلَّب » ، وكل منهم يُلْقِى معاذيرَه .

الحجاج : أيجترئون على عصيانِ أمرى ؟ أيَّةُ معاذيرَ لهؤلاء الخَالِفين ؟

يسمع من وراء الباب صوت صائح

الصائح (راعش الصوت) : أدركْنى أيها الأمير ... افسَحُوا الى طريقى ، أرفعْ إلى الأميرِ ظُلَامتى .

يقبل رجل علت به السن ، بادية عليه آثار النعمة وشرف المنصب ، وهو يتوكأ على بعض غلمانه فيقول :

غَوْثَك يا أميرَ العراقَين غَوْثَكَ !

الحاضرون يتهامسون .

الحجاج : ما ظُلامتك يا شيخ ؟

الرجل الهَرِم : أصلح الله الأمير . إنى من الضعفِ على ما ترى ، أرتعشُ كِبَراً . وقد ضُرِبَ عَلَىَّ البَعْث ، ولا

طاقة لى به . ولى ابنٌ هو أقوى منى ظَهْراً ، وأشدُّ بأساً ، فليأخذْه الأمير مكانى ، وليَعْفُ عنى .

الحجاج (متفرساً فيه) : إن عذرَك لواضح ، وإنَّ ضعفَك لبيِّن . وإن كنتُ أكره أن يجترئَ بكَ الناسُ عَلَىَّ . ولكن ما كل معتذرٍ واجدٌ فى ابنِه بديلا . . .

يلتفت إلى الجمع قائلا :

خذوا ابنَه مكانَه . فما أحبَّ إلينا أن نستبدلَ فتى بشيخ !

الرجل الهَرِم : أطال الله بقاء الأمير ، وَيسَّرَه للرشد .

يدبر عن « الحجاج » خارجاً .

عَنْبَسة (مائلا على « الحجاج ») : أيعرفُ الأمير مَن هذا ؟

الحجاج : من أين لى أن أعرفَه ؟ . . .

عَنْبَسة : هذا هو الذى دخل على أمير المؤمنين « عثمانَ » وهو قتيل ، فوَطِئَ بطنَه ، حتى كسر ضِلَعَيْن من

أضلاعه . . . هذا « عُمَيْرُ بنُ ضَابِىءِ البُرْجُمِىّ » .

الحجاج (صائحاً) : يا « عُمَيْر » . . . عُدْ إلىَّ . . .

يعود « عمير » مرتجف الأوصال .
« الحجاج » ينعم فيه النظر ، ثم يقول :

ألستَ المجترئَ على أمير المؤمنين « عثمانَ » قتيلا ؟
ألستَ الكاسرَ ضِلعَيْن من أضلاعه ؟

عُمَيْر (مضطربا ، لا يكاد يبين) : عَفْوَكَ أيها الأمير . . . فإن «عثمان» كان قد حَبَس أبى شيخاً كبيراً ، فلم يطلقْه، حتى مات صَبْراً . . .

الحجاج (واقفاً وقفة النمر ، واضعاً يده على خصره) : أما أمير المؤمنين « عثمانُ » فتغزُوه بنفسك يومَ الدارِ وهو صَرِيع ، لا تحجُزُك حُرْمة . وأما « الأزارقة » فتقعُد عنهم وتبعث إليهم بابنك بَدَلا . هَلاَّ اسْتَخْلَفْتَ يومَ الدار؟

« الحجاج » يخلل لحيته بأصابعه ويعض عليها
ثم يجهر بقوله :

يا « عُمَيْر » .

عُمَيْر (مختنق الصوت) : لَبَّيْك أيها الأمير . . .

الحجاج : أسَمِعْتَ على المنبرِ قولى ؟

عُمَيْر : سمعتُ أيها الأمير . .

الحجاج : لقد أقسمتُ بالله إنى لا أجد أحداً تخلَّفَ بعد ثلاثة أيام إلا سفَكتُ دمه ، وأنهبْتُ ماله ، وهدمتُ منزلَه . . وإنه لقبيح بمثلى أن يكونَ كاذباً . . .
يا « عُمَيْر » إن فى قتلك صلاحًا للناس !

يصيح قائلا لأحد الأتباع :

يا حَرَسِىُّ . دونَك الرجلَ ، فاضرِبَنَّ عنقَه !

التابع يشهر سيفه ، ويأخذ « بعمير بن ضابئ البرجمى » ، فيجره ، على حين يتضرع .

عُمَيْر : رُحْماك . . . رحماك . . . إنى شيخ فانٍ لم أقترف إليك ذنبًا !

يمضى التابع « بعمير » .

« الحجاج » يخطو إلى عتبة الشرفة ناظراً إلى الساحة .

ابن مَوْهَب (لعنبسة) : إن « عُمَيْراً » زعيم قومه، وإنى لأخشَى أن يكون فى قتله فِتْنة .

عَنْبَسة : لا تخشَ شيئا ، فإن فى قتل هذا الزعيم عِبرةً لعامة الناس . . .

يخطو « عنبسة » و « ابن موهب » إلى الشرفة خلف « الحجاج » .

صوت (من وراء الشرفة) : اَللهُ أكبر !

يسمع وقع السيف على عنق « عمير » فى همهمة وتصايح .
« الحجاج » يلتفت إلى « ابن موهب » .

الحجاج (لابن موهب) : مُرْ منادياً ينادى فى الناس أن ذمةَ الله بريئة ممن بات الليلةَ متخلفاً من جند « المهلَّب » !... والله ليستقيمُنَّ على طريق الحق ، أو لَأَدَعَنَّ لكل رجل شُغْلًا فى جسده !

ابن موهب : الطاعة للأمير . . .

لا يكاد « الحجاج » يتزحزح عن مكانه تاركا الشرفة حتى يسقط سهم يصيب كتفه اليسرى .

الحجاج (وهو يتحسس كتفه) : ما هٰذا ؟

عنبسة وابن موهب (وقد هرعا إلى « الحجاج ») : أأُصيبَ الأمير ؟

الحجاج : سهم طائش لا أُلقى له بالا .

عنبسة (صائحا) : علينا بالطبيب !

الحجاج : إنه جُرح هيِّن . . . لا تَشغَلْ نفسك به . اخرجْ فانظر ما خَطْبُ هذا السهم .

ينصرف « عنبسة » مهرولا .
« الحجاج » يخرج من صدره منديلا يضمد به كتفه .

ابن مَوْهَب : حمداً لله على سلامة الأمير ... حفظك الله ووقاك ... أيكون هذا السهم من يد رجل من قوم « عُمَيْر » ؟...

الحجاج : لا يَعْنيني ممن يكون . لا يعوقُني شيء في سبيل تجهيز الجيش ، وإمداد « المهلَّب » به في الموعد المضروب .

يقدم « عبد الرحمن بن عبيد التميمي » ومعه ثلة من الجند تشد على فتى ملثم .

عبد الرحمن : ذلك هو الجانى يا مولاى . . . سُقْناه إليك .

الحجاج : ألاَ أعوانَ له ؟

عبد الرحمن : بعثْنا طائفة من الجند تَنْشُد من شاركوه فى فَعْلَته إن كان له شُرَكاء .

« الحجاج » واقف يتأمل الفتى الملثم مليا .

الحجاج (للجمع من حوله) : دَعُونى وهذا الفتى !

همهمة تسرى بين الجمع .

عبد الرحمن (مدهوشاً) : مولاى . . . أَنَدَعُكَ خالياً ؟

الحجاج : انصرفوا جميعاً . . . وأنتَ يا « عبد الرحمن » لا تتوانَ فى تعقُّبِ أعوانِ ذلك الجانى الأثيم .

يأتمر الجمع بأمر « الحجاج » وينصرفون .
« الحجاج » يتقدم نازعاً عن الفتى لثامه ، فإذا وجه « الأهوازية » يتجلى .

الحجاج : « الأهوازية » ؟!

الأهوازية : لقد التقينا بعد طول شَتَات !

الحجاج : بئسَ المُلْتَقَى !

الأهوازية : لا مَنْجاةَ لك من لقائى أبداً .

الحجاج : لا لقاءَ لى بعدَ اليومِ بمن يريد قَتْلِي !

الأهوازية : قَتْلُكَ إن لم يَجْرِ على يدى ، جَرَى على يدِ غيرى . . .
وغيرى أيها الأمير كثير !

الحجاج : مَن تَعْنِين ؟

الأهوازية : ليس علىَّ أن أخبرك بهم . . . ذلك إليك ، ففتِّشْ
عنهم ما استطعتَ . ألستَ الشُّرْطىَّ القادرَ الماهر ؟
أو لستَ المتمثِّلَ منذ قليل بقول الشاعر :

أنا ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثنايا
متى أضَعِ العمامةَ تعرفونى ؟

الحجاج : بَلىٰ ، وقد عَرَفونى ، وسيعرفون من بَلائى فوق
ما عرفوا . . .

الأهوازية : سيعرفون فيك جَبَّارا عَتِيًّا ، فيكونون عليك حَرْباً ،
ويكيدون لك كيدا . . . أولئك أهل « العراق »

هيهات أن تَلِينَ لهم قَناة !

الحجاج (وهو يحدق فيها طويلا) : وإنى لأراكِ لهم عونا !

الأهوازية : لأكونَنَّ حيث تكره . . .

الحجاج : كنتِ تَدَّعين أنك تحبيننى ، وعجيبٌ أن يقتلَ المرء من يحبّ . . .

الأهوازية : بل العجيبُ ألاَّ يقتلَ المرء حبيباً مثلَك !

الحجاج : يا للنَّمِرَةِ الضارية !

الأهوازية : هممتُ بأن أقتلك وأنتَ فى المسجد أولَ يومٍ قَدِمتَ ولكن الفرصةَ أخلفَتْنى ، فنجوتَ بيدنِكَ منى . . .

الحجاج : وها أنتِ ذى أيَتْ إلا أن تحاولى قتلى وأنا فى قصر الإمارة . . . إنى لأعيا بأمركِ ، لا أدرى لماذا تُسرفين فى العُدْوانِ علىَّ ؟

الأهوازية : أحقا لا تدرى لماذا ؟ لأنى أحبُّك !

« الحجاج » يقهقه .

« الأهوازية » تواصل قولها :

حرام عليكَ أن تسخرَ منى ، فإن حبى إياك يطغى على قلبى ، حتى يُسْلمَنِى إلى القضاء عليك . لن ترجعَ إلىَّ سكينتى حتى تنكشفَ هذه الغُمَّةُ عن نفسى !

الحجاج : ما أظنُّك إلا فى خبال . . . أيةُ غُمَّةٍ هذه ؟

الأهوازية : أردتُ أن أُخْمِدَ جذوة حبى ، فلم أستطع إلى ذلك من سبيل ، وحاولتُ أن أنساك فلم تجُدِ فى نسيانك حيلة أو وسيلة . . . الموتُ وحدَه هو الذى يواتينى بهذا النسيان المنشود . . . وإنى لقاتلتُكَ حتما !

الحجاج : وإذا أعجزَكِ أن تقتلينى ؟ فماذا أنت فاعلة ؟

الأهوازية : فلتقتُلْنِى أنتَ حتى أستريحَ من عذابٍ أعانيه أليم !

الحجاج : حقا لا تدبيرَ إلا أن يموتَ أحدُنا . . . ولستُ بتاركٍ مثلكِ يقضى علىّ ، فإن فى موتى قضاءً على هذه الدولة التى أوطِّد أركانَها . سأقتلك أنتِ لامحالة !

الأهوازية : ليتَكَ قاتِلى !

تقترب منه ، كاشفة له عن صدرها ، تقول :

ها أنا ذى بين يديك ، فاطعُنْ بخنجرِكَ قلْبى .

يأخذ « الحجاج » بمنكبيها ، فيضغطهما .

سأقتلكِ دون أن أسفِك قطرة من دمك . سأسْحَقُ ذلك الجسَدَ الثعبانىّ الثائر . سأُزْهِقُ تلك النفس المتمرِّدَة !

الأهوازية (مستسلمة) : ما شئت فافعلْ !

الحجاج (محدقا فيها) : يا له من نَحْرٍ بَضّ مُثْمِر ! يالها من فتنة للناظر ، ومتعةٍ للمستمتع ! ... عَجَبى لهذا الجسد الرائع كيف يحوى بين جوانحه ذلك الرُّوحَ الشَّغُوب ! ؟

يدنى رأسه من وجهها .
تكاد شفاههما تتلامس ، ولكن « الحجاج » يقذف بها بغتة ، فتسقط على أديم الأرض

الأهوازية : لماذا لم تَقْضِ علىّ ؟

الحجاج : أريد أن أعلمَ أولا من هم أعوانُكِ فيما قارفتِ من جُرْم ؟!

الأهوازية : لن أُفْضِيَ إليك بشيء .

الحجاج : بل تُفضينَ إلىَّ بكل شيء ، ولأعذِّبَنَّكِ حتى أعلمَ أمرَ من كانوا معك فى المسجد ، أمن « الأزارقة » هم أم من أهل « الكوفة » ؟

الأهوازية : سأعترف لك بكلِّ ما تريد ، وسأجلو لك كل خَفِيَّة ولكنْ لى عليك شرط . . .

الحجاج : أىّ شرط هو ؟

الأهوازية : تعترف لى أنت بشيء واحد لا يكلفك نَصَبا .

الحجاج : أىّ شيء تطلبين اعترافى به ؟

الأهوازية : تعترف بأنك تحبُّنى !

الحجاج (مقهقها) : رجعْتِ إلى شِيَمَتِك التى لا تَبْرَئِينَ منها . . ألم تعلمى أن الحبَّ لا يَقَع منى ببال ؟

الأهوازية (متدانية منه) : بل إنه يملأ بالَك شُغلا . . ألم تَتَفَقَّدْنِى فى مَغِيبِي ؟ ألم يحزُنْكَ فراقى ؟ ألم ترسل

العيون والأرصادَ فى طلبى ؟ ألم تأمرهم أن يقتفُوا أثرى
ويسألوا الرُّكبانَ عن خبَرِى ؟

الحجاج : ذلك دأْبى فى شأن من هو مثلُك ثائر عنيد ...

الأهوازية : أنت تراوغ وتداور ... اعترفْ بأنك لى مُحِبّ !

الحجاج (محدقاً فيها) : ومن ذا الذى لا يشتهى تلك القطعة الطيبةَ من لحم طَرِىّ ؟

الأهوازية : ألستُ عندَك إلا قطعةً من لحم طَرِىّ ؟

الحجاج : وماذا تريدين إذن أن تكونى ؟ وهل النساء جميعاً إلا كذلك ؟ لا تصلُح المرأةُ إلا مُتَّكَأً لَيِّناً ترتاح إليه الرأسُ بعدَ طول عناء !

الأهوازية : لستُ وِسادةً تُرِيح إليها رأسَك، ولكنى شَوْكَةٌ تُقِضُّ مَضْجَعَك !

آذن يقدم ، فيدهش حين يرى «الأهوازية» فى حضرة الأمير .

الآذن : مولاى .

الحجاج : ماذا تَبْغِى ؟

الآذن : « أبو بردة » يستأذن عليك .

الحجاج : أَمْهِلْه قليلا .

الآذن ينحنى وينصرف .

« الحجاج » يقول « للأهوازية » :

أتعلمين فيم قَدِمَ « أبو بُرْدَة » ؟

« الأهوازية » مستمعة لا تجيب.

لقد بعثتُ به فى مهمة لى عند « هند بنت أسماء ابن خارجة » .

الأهوازية : بعثتَ به إليها ، ليخطبَها إليك !

الحجاج : فَطِنَةٌ أنتِ يا فاتنةَ « الأهواز » !

الأهوازية : « هند » لا يخفَى أمرُها على أحد ، فهى من نعرف أصالةَ نسب ، وجلالةَ حسَب ... ما زلتَ طلاَّعا إلى فَخْرِ المصاهرة ... أما كان لك زاجرٌ من

إخفاقِكَ فى خِطْبَةِ « أم كُلْثُوم » بنت « عبد الله ابن جعفر » ؟

الحجاج : لقد زَهِدَتْ نفسى فيها ، وشَغَلَتْنى إمارة العراق عنها.

الأهوازية : لا تكتُمِ الحق ، وقل إن الخليفة هو الذى نهاك عن التعرُّض لها . فما زال أميرُ المؤمنين يُكِنُّ إجلالَه « لآل هاشم » .

الحجاج : الخليفة يَخُصُّنى بإعزازه ، ويُنْزِلُنى منه المنزلَ الحسن.. ألستِ تَرَيْنَه أهدَى إلىَّ ولاية «العراق» وقد كانتْ لأخيه من قبل ؟

يقبل « عبد الرحمن بن عبيد التميمى » ، ومعه بعض الشرط ، فما إن يلمح « الأهوازية » حتى تعروه دهشة .

« الحجاج » يبدأ « عبد الرحمن » بقوله :

ما وراءَكَ يا صاحبَ الشُّرْطة ؟

عبد الرحمن : بُشْرَاكَ يا مولاى . . . الجموع تتدافع بالمناكب فى طريقهم إلى « المهلَّب » . . . إنهم بعد مقتل « عُمَيْر

ابن ضابئ » « كبير قومه » أيقنوا أنه لا يأمَن أحدٌ منهم على نفسه . ألْقِ بنظرك إلى الجسر تَلْقَ الناسَ قد ازدحموا عليه ، حتى أَوْشك أن ينقطعَ بهم .

« الحجاج » يتدانى من الشرفة ، يتبعه « عبد الرحمن التميمى » .
« الأهوازية » تغتنم غفلتهما عنها ، فتثب إلى النافذة ، وتلقى بنفسها فى النهر .
ينتبه « الحجاج » لما حدث ، فيعجل إلى النافذة هو و « عبد الرحمن » .

الحجاج (صائحاً) : إنها تحاول الفِرَارَ . . ها هى ذى تَسْبَحُ فى الماء !

يدفع كتف « عبد الرحمن » قائلا له فى حدة :

أدرِكوها . . . علىَّ بها !

« عبد الرحمن » يعدو خارجا .
« الحجاج » يوالى صياحه مهتاجا .

ايتُونِى بها حية أو ميتة . . . لا أُفْلِتُهَا من يدى . . . لا أُفْلِتُها من يدى !

الفصل الخامس

يوم من أيام العام السابع والسبعين للهجرة .
مخيم « شبيب بن يزيد الشيبانى » وجيشه من الخوارج ، فى سبخة « الكوفة » .
ساعة الغسق ، وقد ضاء القمر .
تتعالى أصوات التهليل والتكبير ، إيذاناً بأن الجنود يؤدون فريضة المغرب .
تبدو « جهيزة » أم « شبيب » وبجانبها « غزالة » زوجته ، وكلتاهما فى لبوس المقاتلة .

غزالة (ممتعضة) : ما فَتِئُوا يصلون ، لا تَفْرُغُ لهم صلاة ، وليس فى الوقت مُهْلة . فإنا نريد دخول «الكُوفَةِ» الليلةَ ... ما من ذلك بُدّ ... إنَّها مِنَّا على مَقْرَبَة .

جَهِيزَة : أخشَى يا « غزالة » مَغَبّةَ الاقتحام ، ونحن فى عدد قليل !

غزالة : لا تَخْشَىْ شيئاً يا « جَهِيزة » ... بأقلَّ من هذا العدد كان « شَبِيب » يوالى الزَّحْفَ على جيوش « الحجاج » ، فيردُّهم على أعقابهم خاسرين . لا تَعْبَئ بكثرة التَّعْداد ، ووفرة العَتَاد ، فإنما العِبرة بقوة الجَلَد ، وَصَبْرِ النفس ، وحماسة العقيدة ... ولا يذهبنَّ عنك أننا نُبَيِّتُ « الكوفةَ » على غِرَّةٍ ، وليس حُمَاتُها فى أُهْبَة ! ...

جَهِيزة : لعل الرأىَ ما تَرَيْنَ يا « غزالة » .

غزالة : لَأَقتحمنَّ « الكوفةَ » ليلاً مع زوجى « شَبِيب » ، ولَأُصَلِّيَنَّ فى مسجدها الأعظم ... هذا نَذْرٌ علىَّ لله نَذَرْتُه ، وإنى لَمُوفِيَةٌ به ، وأنفُ « الحجاج » راغم .

جهيزة : من يدرى أين يكون « الحجاج » الآن ؟ أفى « البصرة » هو معتصِمٌ بعسكره ؟ أم نَمَى إليه ما بَيَّتْناه « للكوفة » فانحدرَ إليها على عَجَل ؟

غزالة : مَبْلَغُ ما نعلمُ أنه لم يَبْرَح « البَصرة » . وما يَعْنِينا أن يكون هنا أو هنالك ، وإنما الذى يعنينا أن تكونَ « الكوفةُ » عَزْلاءَ ، لا يصدُّنا عنها جيش .

جَهِيزة : سيموت « الحجاجُ » كَمَدا حين ينتهى إليه أن ابنى « شَبيبا » قد استولَى على عاصمة « العراق » الأولى ، وأشبع أهلها ذُلاً .

غَزَالة : حقا إنها مفاجأة مُرَوِّعة « للحجاج » ، وستَرْدُفُها مفاجآت ... لنا بإذن الله نصر محقَّق ... آن أن تَدُول دولة الأُمويين الكفَّار ، وأن تقوم على أنقاضها دولةُ الخوارج ، دولةُ الدين الخالص ...

المصلون يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير

جَهِيزة : القومُ فى صلاتهم ماضون .

غزالة : عَجَبًا « لشبيب »... لا أعرف أينَ الساعةَ مكانُه ؟ إنه فى الحين بعد الحين يباغتنى باختفائه عنى ، فلا أجدُ له ظلاً .

جَهِيزة : ربما كان مصروفاً إلى تعبئة الجند ، وتدبير الخطة .

غزالة : ما باله لا يختفى إلا اختفتْ أيضاً تلك «الأهوازية» ؟ إنها تظهرُ بظهوره ، وتختفى باختفائه !

جَهِيزة (فى تأفف) : أَشَمُّ فى حديثكِ رِيحَ الغَيْرة ... لا تَبْرَئين من هذه الخَلَّة المقوتة ... ظننتُكِ وقد تحليتِ بزىّ الرجال ، وخُضْتِ مَعامعَ الأبطال ، تنسلخُ عنك خِصالُ النساء ... ولكنكِ ما زلتِ امرأةً يا « غزالة » !

غزالة : أَتَعيبينَ منى غيرتى ، وتلومينى عليها ، وأنتِ مثلى امرأةٌ تعرفُ كيف يكون قلبُ الزوجة حين يَرِيبُهَا من زوجها شىء ؟ إنك لتدركين أَنِّى أُحبُّ ابنَك « شبيباً » زوجى ... ومن أَحبَّتْ كانت حريصةً على أن يخلُوَ لها وجهُ حبيبها بلا شَرِيك .

جَهِيزة : لك يا « غزالة » وَجْهُه وقلبه معا ، فَطِيبى نفسا !

غزالة : أُحِسُّ أَن « شبيبا » ينظر إلى « الأهوازية » بعين مِلؤها الاهتمام ، وأَخاف أن يُسْلِمَه ذلك إلى كَلَفٍ بها وهُيَام !

جَهِيزة : إنما يهتم « شَبِيب » بتلك « الأهوازية » لعلَّةٍ ليست عنك بخافية ، فهى تسعَى فى سبيل فوزه ، وتعمل جهدَها على أَن تكون له الغلبةُ على عدوِّه .

غزالة : أُوجِسُ من هذه المرأَة شرّا .

جَهِيزة : أىّ شر تُوجِسِينَ يا « غزالة » ؟

غزالة : كانت « للحجاج » عَوْنًا !

جَهِيزة : ولكن أَصابها منه ما أَصابها ، فخرجتْ عليه فِراراً من بطشه ، ولَحِقَتْ بنا تُضمِرُ له حقدا ، وتريد به كَيْداً .

غزالة : أَوَلم تكن تُحِبُّه ؟

جَهِيزة : كان ذلك فيما سَلَف... أَما الآن فإن صدرَها يلتهب

من مَقْتٍ له وبغضاء .

غزالة : إنها تُبْغِضُ « الحجاج » أشدَّ البغض ، لأنها تحبُّه أشدَّ الحب . . . وإن بغضًا هو وَلِيدُ الحب لجدير أن نكونَ منه على خشية وحَذَر . . . أَحْسَبُ أن هذه « الأهوازيَّةَ » اللَّعُوبَ تتغفَّلُنا جميعًا لتثأرَ من عدوِّها الحبيب !

جَهِيزة : قُصارَى ما يَعْنينا من أمرها أنها تبذُل لنا العون صادقا .

يقدم أحد عرفاء الجند .

عريف الجند : مولاى أميرُ المؤمنين « شَبِيب » فى خَيْمته ، عاد إليها فى كَوْكبة من الفُرسان ، بعد أن جال جولةَ تَعَرُّف واستطلاع .

غزالة (لجهيزة) : بنا إليه ، نَتَبَيَّنُ ما اعتزمَ .

« غزالة » و « جهيزة » وعريف الجند ينصرفون

من ناحية ، فيقدم من ناحية أخرى «شبيب» و « الأهوازية » فى صحبتهما أحد الجند .

الأهوازية (متمة حديثها مع الجندى) : إذنْ علمتَ على يقينٍ أن « الحجاج » فى قصره « بالكوفة » .

الجندى (مؤكداً) : ما إن علمَ « الحجاج » بأننا نريدُ « الكوفةَ » حتى خرج مبادرًا إليها من « البصرة » فى نفرٍ قليلين من الأَحْرَاس . . . ولكن جيشَه فى « البصرة » مقيم .

شَبِيب : لا مَنْجاةَ « للحجاج » منا ، وما دونَ الفَتْحِ من شىء !

الأهوازية : فلتتعجَّلْ ، ولنهجُمْ عليه الساعةَ .

شَبِيب : لنباغِتَنَّ « الكوفةَ » مباغتة تنخلع لها قلوبُ القوم ، حتى لا تكونَ لهم هِمَّة لقتال .

الأهوازية : تلك هى خُطتُك التى حَذِقْتَها ومَهَرْتَ فيها : أن تَنْقَضَّ على عدوك انقضاضَ الصقر ، فتكونَ لك الدَّوْلةُ عليه بالعدد النَّزْر . . . هَيَّا بنا نباغت

« الحجاج » ... إذا لم نظفرْ به الليلةَ ، فقد فاتَنا الظفرُ به آخرَ الأبد .

شَبِيب : ليكونَنَّ « الحجاجُ » منذُ الليلة فى قبضتنا لقمةً سائغة !

يلتفت إلى الجندى قائلا :

اِمْضِ إلى العُرَفَاء فأبلغْهم أمرى أن يتأهَّبوا لِاقتحام « الكوفة » الساعةَ . . . إنا داخلوها لا مَحالةَ بسلام .

الجندى : الطاعةُ لمولاى أميرِ المؤمنين .

الجندى ينصرف مهتما .

شَبِيب (واقفاً قبالة « الأهوازية » يتوسمها) : أَذاكرةٌ أَنْتِ وَعْدَكِ إياى ؟

الأهوازية : أىّ وعد يا مولاى ؟

شَبِيب : أَما وعدتِنِى بأنى إذا أَمكنْتُكِ من « الحجاج »

تقتصّين منه ، فستكونين لى ؟

الأهوازية : إنى لوعدِك ذاكرة ، وبه مُوفِيَة . . . سأكونُ لكَ بعد أن تُسْلِمَنِي هذا الطاغيةَ المتجبِّر ، أَشْفِي منه غليلى .

شَبِيب : عجيبٌ شأنُكِ مع « الحجاج » !

الأهوازية : لقد أذاقنِي ضروباً من المهانة والإذلال . أُريد أن أَكِيلَ له الصاعَ صاعَيْن ، أُريدُ أن أُمزِّقَهُ بيدَىَّ هاتَيْن !

شَبِيب : شَدَّ ما تَمْقُتِينَ هذا الرَّجُل !

الأهوازية : وأنتَ . . . ألستَ مثلى تَمْقُتُه ؟

شَبِيب : إنى له أشدُّ مقتاً .

الأهوازية : ذلك ما جَذَبَنى إليك . كِلاَنَا « للحجاج » كاره ، وإن كان لكلٍّ كرهٍ مَذَاق . . . سأهَبُكَ كلَّ ما أنت طامح إليه ، سأكون لك أَمَةً مدى العمر ،

متى يَسَّرْتَ لى الظفرَ بذلك الرجل الظَّلُومُ . . . فأما قبل ذلك فهيهاتَ أن أستجيبَ لكَ فى شىء !

شَبِيب : لستُ أدرى لماذا أُحسُّ بأن قولَك لى مُرِيب .

الأهوازية : أىُّ رَيْبٍ فيما أقول ؟ أتَرِيبُكَ امرأةٌ تَبْغِى أن تقضىَ على رجل لتستقبلَ رجلًا آخر . . . تقضى على من أهانَها وأزرَى بها لتستقبلَ من أكرمها ونَعَّمها ؟ . . إنى أكره « الحجاج » الكرهَ كلَّه ، أما أنتَ فقلبى كلُّه لكَ وحدَك . . .

شَبِيب : وإن حبى إياك ليملِك عَلَىَّ أقطار نفسى ، حتى لا أجد لغيرِك فيه موضعاً . . .

الأهوازية (تتكلف البشر والطلاقة ، ولكنها تبدو كاشرة عن أسنانها تحتدم غيظاً) :

إذن قَبِّلْنِى يا « شَبِيب » .

تروع « شبيباً » هيئتها ، فيهت .

تقترب « الأهوازية » منه صارخة تقول :

قلتُ لك قَبِّلنى ... ماذا يصرِفُك عنى ؟ ماذا يَرِيبُك منى ؟

شَبِيب (آخذا برأسها ، محدقاً فيها) : يا لله من هذه النظرات المتوقدة ! ... لستُ أدرى : أنظراتُ حبٍّ ، أم نظراتُ حرب ؟

الأهوازية : إنها نظرات حبّ وحرب معا ... وأىُّ فارق بين حبّ وحرب ؟ هى نار تتلهَّب ، وسعير يتضرم . سأقبِّلُكَ أنا ، لِأُشْعِرَك بوَهَجِ تلك النارِ وحَرِّها .

القمر يرسل بأضوائه على البقعة .
« الأهوازية » تعتنق « شبيبا » فتقبله قائلة فى صوت يزفر :

هٰكذا يا « شَبِيب » ... هٰكذا يا « شَبِيب » !

تبدو فى تقبيلها إياه كأنها تعضه .
فى هذه اللحظة تقبل « جهيزة » و « غزالة » .
لا يكاد يلمحهما « شبيب » و « الأهوازية » حتى يتباعدا ...

غزالة (ثائرة اللهجة) : ذَهبْنا نتفقدُكَ فى خيمتك، فلم نُصِبْك هنالك ، فرجعْنا لنشهدَك على حالٍ يا سُوءَها من حال !

شَبِيب : كَفَى اللهُ السُّوء ! . . . ماذا بكِ يا « غزالة » ؟

غزالة : أَبِعَيْنِي أَرى ما رأَيتُ ، ثم تسألنى : ماذا بِى ؟

شَبِيب : ماذا تأخذين علىّ ؟

غزالة : حقًّا لا آخذُ عليك من شىء . . إنما يُلامَ القمر ، إذ نَمَّ ضوءه عليك ، فأفشَى سرَّ قبلتِك لفتاتِك !

شَبِيب : أَحْسِنِي الظنَّ يا «غزالة» ، فإنى قَبَّلْتُ «الأهوازيةَ» بين عينيها . . . قَبَّلتُها قُبْلةَ عِرْفان للجميل . فهل أنا فى ذلك مَلُوم ؟

غزالة : أَقبلتَها عِرفانًا لجميلها ، أَم عِرْفَانًا لجَمالها ؟ !

شَبِيب : حسبُكِ تهكمًا يا « غزالة » . . . لقد أَنهتْ إلىّ بُشْرَى نرتقبها جميعًا ، فلم أَملكْ إلا أَن أَشكرَ

لها يُمْنَها ...

غزالة : أَيَّةَ بُشْرَى أَنهتْ إليك ؟

شَبِيب : « الحجاج » فى « الكوفة » أَعزَلُ ، و « الكوفةُ » مثلُه عَزْلاءُ ... لا جيشَ يَحْمِيها أَو يَحْمِيه !

جَهِيزة (منعسة) : لا عليك من مَلَامٍ يا بُنَيَّ ... هذه بُشْرَى النصر ... وإن حبيبتنا « الأهوازية » لجديرةٌ بالقُبُلات تِلْوَ القُبُلات !

تخطو نحو « الأهوازية » قائلة :

تعالَىْ أُقبِّلكِ أَلْفاً !

تقبلها غير مرة فى حماسة .

تقول « لشبيب » :

حين كنا فى خَيْمتك ، علمْنَا أن رسولا قَدِمَ عليك فى أمر ذى بال ...

شَبِيب : لم يكن هذا الرسولُ إلا « الأهوازية » ، قَدِمَتْ تَزُفُّ إلىَّ البُشْرَى .

جَهِيزة (للأهوازية) : ما أجلَّ ما تُسْدِينَ إلينا من خِدَم ....
بُورِكَ فيكَ يا بُنَيَّة !

شَبِيب : أمرتُ الجندَ أن يتأهّبُوا لدخول « الكوفة » ..
فلنمضِ على بركةِ الله .

يقول « لغزالة » :

اذهَبي فاتَّخِذى أُهبتَكِ للقتال .

غزالة (عاقدة يديها على صدرها) : لا يكونُ لى معكم خروج .

شَبِيب : أتَخَلُّفًا عن القتال يا « غزالة » ؟ ألستِ ناذرةً لله أن تدخُلى « الكوفة » فتصلِّى فى مسجدها ؟

غزالة : اختَرْ بينى وبين هذه أوّلَ شيء ...

تشير إلى « الأهوازية » .

جَهِيزة : أهذا وقتُ عنادٍ ومشاكَسةٍ يا « غزالة » ؟

غزالة : حَتْمٌ أن يختار بينى وبينها !

جَهِيزة : كُفِّى عن هذا يا « غزالة » ، حتى يفرُغَ « شَبِيب »

للجليل من أمره ، فلا يُمْنَى بإخفاق .

غزالة : إنما قصدتُ أن أجنِّبَه عواملَ الإخفاق !

تقول « لشبيب » :

إن امرأتين فى صُحْبتك خَطَرٌ عليك يا « شَبِيب » !

جَهيزة : أنحن امرأتان ؟ إنَّا ثلاثُ نسوة !

غزالة (لجهيزة) : الآن تَحْسُبِينَ نفسَك امرأةً ، وقد كنتِ تصطنعين فى حديثِكِ مَنْطِقَ الرجال ؟

جَهيزة (لشبيب) : فلتحمَدْ ربَّكَ يا بُنَىَّ على أنى أصبحتُ رجلا ، وإلا لكانتْ فى صحبتك ثلاثُ نساء لا يهدأُ لكَ معهنَّ بال ! . . . لقد أراحك الله من أمرى ، فاسألْه أن يعينَك على الاثنتين الباقيتين !

شَبِيب : لا تَخَافِى عَلَىَّ من النساء يا أُمّاه ، فإنى لا أخشَى منهنَّ شيئاً ... إنما يخشَى النساءَ خَوَّار ضعيف !

يلتفت إلى « غزالة » قائلا :

هَيَّا يا « غزالة » . . . إلى الفتحِ المُبِين !

غزالة : اذهبوا أنتم ، فإنى مُقيمة .

الأهوازية (متوسلة إلى « غزالة ») : لا تكونى عقبةً فيما نحنُ بسبيله . . . سيطمئن قلبُكَ بعد هذه الليلة . . . فاحتمليها ليلةً واحدة !

غزالة : ثم ماذا يكون بعد هذه الليلة ؟

الأهوازية : إما أن أكون أنا كلَّ شىء، وإما ألاَّ أكونَ شيئاً !

شَبِيب : لست أفقهُ شيئاً مما تتحدثان فيه . . .

الأهوازية : إن هى إلا ليلة واحدة يتجلَّى فيها الأمر كله . هَيَّا بنا إلى « الكوفة » ندخُلها قاهرين . لَنُحِيلَنَّها قبراً لساكنيها ، وعلى رأسِهم « الحَجَّاج » ! . . . هَيَّا بنا هيّا . . .

ينصرفون

الفصل السادس

الليلة عينها من العام السابع والسبعين للهجرة ، ليلة دخول « شبيب » مدينة « الكوفة » .
القمر يتلألأ فى كبد السماء .
البهو الأكبر من قصر الإمارة فى « الكوفة » يرى « أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى » منتبذاً ناحية من البهو ، وقد جعل يسترسل فى أدعية وصلوات .
الأحراس فى هرج ومرج ، وجيئة وذهوب ، وعم بين القينة والقينة يشرئبون إلى النوافذ متطلعين .

حَرَسِيّ (فى كآبة واهتياج) : مَقَامُ ضَنْكٍ ، وحالٌ عَصِيب !

« عنبسة » يقبل على البهو ضيق الصدر ، بادى الاغتمام ، فينحو نحو « أبى بردة » .

عَنْبَسة (لأبى بردة) : حَسِبْنَا « المُهَلَّبَ » قد كفانا شَرَّ الخوارج فى « فارسَ » ، فإذا نحن هنا نُبْتَلَى بِـ « شَبِيبٍ »

فى « العراق » . . . إنه ليبلَغ من جَسارته أن يقتحمَ « الكُوفَة » !

أبو بُرْدَة : يا شُؤْمَها من ليلةٍ لَيْلاءَ . . . أكان يَقَعُ فى وهم أحد أن « شبيباً » يَبِيتُ سيِّدَ « الكوفة » فى ساعةٍ من ليل ؟ لو أن ذلك تَمَثَّلَ لنا رُؤْيا مَنام ، لقلنا : أضغاثُ أحلام . . . لكأننا الليلةَ فى يَدِ « شَبِيبٍ » رهائنُ ، لا نَمْلِكُ لأنفسنا صَرْفاً ولا عَدلا !

عَنْبَسة : قاتلَ اللهُ « شَبِيبا » من جبَّار جَسُور . . . لقد ضرب الحِصَار على دار الإمارة حين علمَ أن « الحجاج » فيها مُقِيم .

تعلو أصوات استغاثة من بعيد .
« عنبسة » يدنو من إحدى النوافذ ، ناظراً فى حذر .

أبو بُرْدَة (وهو يمد عنقه ، ولا يتحلحل من مجلسه) : ماذا بربِّكَ ؟ . . ماذا يا تُرَى ؟

عَنْبَسة (وقد عدل عن النافذة) : شِرْذِمَةٌ من جند « شَبِيب » تتعقَّب الناس ، وتَضَعُ فيهم السيف .

أبو بُرْدَة (مبتهلا) : اللهم رُحْماكَ . . . اللهم اجعَلْنا فى حِماك !

يقول « لعنبسة » :

أين أميرُنا « الحجاج » ؟

عَنْبَسة (فى لهجة سخرية وبأس) : مشغولٌ يا سيدى !

أبو بُرْدَة : لعله يَزِيدُ القصرَ من تحصين .

عَنْبَسة : إنه بغير ذلك مشغول !

أبو بُرْدَة : لعله يُبَيِّتُ مَكِيدَةً يَرُدُّ بها عنا غائلةَ « شَبِيب » .

عَنْبَسة : شُغْلُه أعظَمُ من ذلك وأجلّ !

يحدق فى « أبى بردة » ثم يقول :

إنه يُصِيبُ عَشاءه يا سيدى . . . أعَلِمْتَ بأىٍّ شأنٍ هو مشغول ؟ بالطعام يا « أبا بُرْدَة » !

أبو بُرْدَة (مدعوشاً) : أيأكُلُ الساعةَ ؟ وهل يجد عنده

شَهِيَّةً لِمَطْعَم ؟ لعمرُكَ لو هَبَط عليَّ الآنَ « رضوانُ » حاملاً إليّ أعنابَ الجنَّةِ ، لما طابَ لى أن آكُلَ منها حَبَّة ... والله إنَّا على شَفَا أحداثِ جِسَام . . . سَلِّمْ يا ربِّ سَلِّمْ !

يستغرق فى توسلاته وتضرعاته .
« الحجاج » يدخل فى جمع من الجند ، وهو يمسح فمه ويتجشأ .

الحجَّاج (وهو يدلك بطنه ، مخاطباً معدته) : لأروضَنَّكِ على ما أُرِيد . لا أُطِيقُ أن يَعْصِيَ أمرى شىء !

يتلفت حوله ، قائلا للجمع :

من ذا يَعْصِى أمرى !

أبو بُرْدَة (مختلج الصوت) : وهل يُسْتَطاع عِصْيَانُ أمرِك أيها الأمير ؟ !

الحجَّاج (لعنبسة) : ألم تحسُّوا طلائعَ جيش النَّجْدَة قادمةً من « البَصرة » ؟

عَنْبَسة : ما أحْسَسْنا من أحد، وما ترامىَ إلينا من نبإٍ .

الحجاج : لقد تركتُ ورائى جيشَ «النَّضْرِ بنِ القَعْقَاعِ» فى «البَصرة» يُعِدُّ العُدَّةَ لِلَّحَاقِ بى . . . إنه لآتٍ لا ريبَ . . . سُحْقاً للكُسَالى[1] ! . . . أهٰذا حينُ مَهَلٍ وإبطاء ؟

عَنْبَسة : ما كان للأمير أن يرجعَ إلى «الكوفة» لا جيشَ معه، وقد علم أن «شَبِيباً» يَطْلُبُ «الكوفةَ» فى حَشْدٍ من جُنْده .

الحجاج : كنتَ تَحْسَبُنى يهدأُ لى بال وقد علمتُ مُرَادَ «شبيب» ؟ . . . أفكنتَ ترضَى منى أن أنتظرَ فى «البَصرة» تاركاً «الكوفةَ» يزدردُها هذا الخارجىُّ لقمةً سائغة ؟ . . . لقد عَجِلتُ أغَرِّرُ به، وأَنْصِبُ حبائلَ الكيدِ له .

جلبة بالباب .
يقدم « ابن مسعود » مكدودا مبهور الأنفاس
وقد تمزقت ثيابه ، ودميت جراحه .
« الحجاج » يسرع إليه ، قائلا :

عُوفِيتَ يا « بْنَ مسعود » . . . هاتِ ما عندك !

ابن مسعود : لقد طَوَّفْتُ مستخفياً أتلقَّطُ الأخبار ، وأتعرَّفُ مايجرى فى المدينة، فعاينتُ ما عاينتُ، حتى نَجَوْتُ... وما وجدتُ إلى القصرِ سبيلاً إلا سِرْدابَ النهر .

الحجاج : ماذا رأيتَ ؟ وماذا سمعتَ ؟

ابن مسعود : أما القصر فالحِصار عليه أشدُّ حصار . . . لكأنَّ جندَ « شبيب » من حوله سُور مَشِيد !

الحجاج : لم تَزِدْنا بذلك علماً . . . فأخبِرْنا بأمرِ « شبيب » .

ابن مَسْعود : إنه كالسَّبُعِ الضارى يُنْشِبُ مخالبَه حيثُما اتفق . . . لقد اقتحمَ المسجدَ الأعظم ، وقَتَل من فيه ، وتوخَّى دار « حَوْشَب » صاحب الشُّرْطة ، وكاد يُودِى به . . . المدينةُ أرضُها تَسِيلُ فيها الدماء ، وسماؤها

تَغَصُّ بأرواح القَتْلى[1] !

« أبو بردة » يسمع وهو يبتهل ويتضرع .

عَنْبَسة : حتى صاحب الشُّرْطَة لا مَنْجاةَ له الليلةَ من بَلاء « شبيب » !

الحجاج : أمَا عندك نبأٌ من « عُثْمانَ بنِ قَطَنٍ » وصَحْبِه ؟ لقد وعدونى أن يجمَعُوا الجموع ، فيصُدُّوا بها جيشَ « شبيب » .

ابن مسعود : مَبْلَغُ علمى أنهم فى مَشارِفِ «الكوفة» يحاولونَ لَمَّ شتَاتِ الجند .

الحجاج (وقد اشتدت كربته ، يصيح) : وأين جَيْشُ « البَصْرة » ؟

ابن مسعود : لم نَلْمَحْ من طليعتهِ أحداً أيها الأمير .

أبو بردة (مهمهماً) : لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله إلا من رَحِمَ الله . . . إنا لله وإنا إليه راجعون !

« الحجاج » يذرع البهو فى قلق وحيرة . يقع بصره على « ابن مسعود »

الحجاج (لابن مسعود) : حَسْبُنا منك ... وإنى لحامدٌ لكَ ما بَذَلتَ من جهد ... انصرفْ إلى جِرَاحِكَ فَضَمِّدْها، ثم الْزَمِ المَرْقَبَةَ المستورةَ فى أعلى القصر، فانظرْ ما يكون.

ابن مسعود : أَفْعَلُ أيها الأمير.

ينصرف « ابن مسعود ».
الجمع تبدو على وجوههم جهامة اليأس.
« الحجاج » يتصدى لهم مرفوع الهامة.

الحجاج (للجمع) : لا أرى إلا وجوهًا عليها غَبَرَة. ماذا أصابَكُم؟ ألستُم أحياءً تردِّدون الأنفاس؟ إن الدارَ حِصن حصين لا يُرَام، وإنَّ من حَوْلِها أحراسًا أشِدَّاءَ حُمَاةً ... والله معنا، وهو لا ريبَ ناصِرُنا.

يتجشأ، ثم يصيح :

أَحْضِرُوا لى ... أَحْضِرُوا لى ...

عنبسة (مسارعاً) : أيطلُبُ الأمير سيفَه ودِرْعَه؟

الحجاج (صائحاً مغضباً) : أحضروا لى مُغْلَى الشِّيح والقَيْصُوم !

يدلك بطنه ، ثم يقول :

أ أكونُ قد أكثرتُ من الطعام ؟

يهرع حرسى ليحضر ما طلب « الحجاج » .
يتابع « الحجاج » دلك بطنه قائلا :

مَعِدَةٌ عَصِيَّة . . . تُرِيدنى على أن أستكِينَ لها . . .
وهيهاتَ !

يسمع دق بباب القصر .
الجمع ينصتون ، وقد أخذتهم الخشية .
« أبو بردة » يغمغم بأدعيته مهتاجاً .
الدق يشتد بالباب .
يقبل حرسى وهو يتدفع .

الحَرَسِىّ : رجل يَضْرِبُ بابَ القصر بعَمُود ، ومن ورائه جَمْع غير قليل .

الحجاج : لا ضَيْرَ على الباب من ضَرَبات عَمُود . إنه مُحَصَّن . ولكنْ زِيدُوه تحصيناً ، وأقيموا خلفَه طائفةً من الجند مدجَّجين . لا يقتحم القصرَ أحدٌ وأناحَىٌّ أتنفَّس !

الحرسيُّ : سمعاً وطاعة .

ينصرف الحرسى .
يقدم تابع يحمل مغلى الشيح والقيصوم ،
فيقربه إلى « الحجاج »، فيجرع منه ، ثم يتجشأ

الحجاج : هذا دواء موصوف . . . وإنى لَأَجِدُ فيه علاجا لتلك المعدة الشَّغُوب !

الدق بالباب يهز القصر .
الجمع تشملهم رجفة .

صوت (من بعيد) : يا « بْنَ يوسف » . . . يا « حَجَّاج » . . . يا « بْنَ يوسف » !

الحرسى يقبل عجلان .

الحرسيُّ (للحجاج) : هذا « شَبِيب » يناديكَ يا مولاى .

أبو بُرْدَة (بحجماً) : اللهم غَفْرًا . . . اللهم لا عونَ إلا بك . . . اللهم لا رادَّ لما قَضَيْتَ !

شَبِيب (صائحاً) : يا « حجاج » . . . أما سَمِعْتَ ندائى ؟

الحجاج (ناهضاً يدنو من الشرفة ويصيح) : سمعتُ نداءك .

شَبِيب : أَأَفْزَعَكَ صوتى ؟

الحجاج : لا أفزَعُ من شىء . . .

شَبِيب : أَرْعِنى سَمْعَك . . إنى عارضٌ عليكَ أن أُفاوِضَك فى أمرٍ فيه صلاحُنا وصلاحُك . . . فهل ترضَى ما أنا عارضُه ؟

عَنْبَسة (هامساً فى أذن « الحجاج ») : حَـذَارِ أن يخدَعَك « شَبِيب » . . . لا تأمَنْ له جانبًا ، فإنه غَدُور .

الحجاج (صائحاً ، يقول « لشبيب ») : فى أىِّ أمرٍ تفاوضنى ؟

شَبِيب : فى أن أرفعَ الحِصارَ عنك ، دون أن يمسَّك سوء . وفى أن نجتمعَ على عهدٍ يَحِلُّ به فى ربوع « الكوفة » سلام !

« الحجاج » يذرع البهو ، وقد ملكه التفكير .
« شبيب » يتابع قوله :

إن « شَبِيباً » إذا قال صدق ، وإذا وَعَدَ أَنْجَزَ ،

وإذا عاهدَ لم يَنْـكُثْ . . . سأبْعَثُ إليكَ برُسُلى
يفاوضونك ، فافسَحْ لهم فى مجلسِك ، تَسْلَمْ وتَغْنَمْ .

« الحجاج » يميل على « عنبسة » يشاوره .

الحجَّاج (لعنبسة) : اِمْضِ إلى رُسُلِ « شبيب » فأدخلْهم إلىَّ ، وخُذْ حِذْرَكَ يا « عنبسة » .

يقول للجمع من حوله :

كونُوا على أُهْبَة ، فإن كان غَدْر فعاجِلوه بغَدْر .

يخرج « عنبسة » .
« الحجاج » ثائر النفس متربص .

أبو بُرْدَة (وهو يتكئ فى مجلسه) : أمتفائلٌ أنتَ أيها الأمير بهذه المفاوضة ؟

الحجاج (كأنه يناجى نفسه) : نِعْمَتِ المفاوضة . . . بل نِعْمَتِ المطاوَلة ! . . ما أحوجَنا إلى وقتٍ يمرّ بنا ونحنُ سالمون أحْياء ، حتى يُنْجِدَنا جَيْشُ « البَصرة » !

« الحجاج » يغدو ويروح فى البهو .
« أبو بردة » يشتد فى ابتهالاته ، فيقف « الحجاج » قبالته ، قائلا له :

مالى أرَى الأدعيةَ تتلاحَقُ على لسانك ، لا يَنْضُبُ لها وِرْد ؟ . . . أما آنَ لك أن تَصْمُتَ ؟

أبو بُرْدة : أيلومُنِى الأمير على أنى أتضرَّع إلى الله ، حتى يُفرِّجَ عنا الكَرْب ، ويُهَيِّىء لنا من أمرِنا رَشَدا ؟

الحجاج : إن اللهَ منكَ قريب ، وفى دعوةٍ أو دعوتيْن غَنَاء . لقد سمع الله دُعاءك ، فإن شاء استجابَ . . . أمَّا هذه اللَّجاجةُ فى الدعاء فلا يطلبُها الله منك ، ولعلَّ الله طالبٌ إليك شيئاً غيرَ هذه الدعوات !

أبو بُرْدَة : أىُّ شىء هو أيها الأمير ، أصلحَكَ الله ؟

الحجاج : الله يطلبُ إليك أن تتقوّس وتَتَدَرّع ، وأن تمتَشِقَ حُسامَك ، تدفعُ به عن نفسِك . . . اِنهضْ ، اِنهضْ ، فما رَضِىَ اللهُ عن القاعدين ولا المُتواكِلينَ . . .

اِنهَضْ ، لا تستجلبْ غضبَ الله عليكَ وعلينا
يا « أبا بُرْدَة » !

يلتفت « الحجاج » إلى الجند الذين معه ،
ويقول لهم :

اخلَعُوا عنه بُرْدَتَه ، واكْسُوه دِرْعاً سابغة ، وقلِّدوه
سيفاً ماضياً ... وليكنْ بينكم جندياً مِقْدَاما !

ينهض « أبو بردة » وهو لا يكاد يتمالك .
الجند ينفذون الأمر ، وهو لفرط رهبته
لا يعرف كيف يتخذ سلاحه .
يدخل « عنبسة » ومن خلفه رسل « شبيب »
تحيط بهم أحراس « الحجاج » .
كبير الرسل يحجب وجهه لثام .

عَنْبَسة : أولئك رُسُل « شَبِيبٍ » أيها الأمير .

كبير الرسل يميط اللثام عن وجهه ، فإذا
هو « الأهوازية » .
الجمع فى همهمة وعجب .

الحجاج : أنتِ ؟ أنتِ عينُكِ ؟

الأهوازية : نعم أنا .. دائماً أنا !

الحجاج : ما كنتُ أدرى أن « شبيباً » يبلُغُ من المهارة والكياسة أن يختارَكِ لهذا المُهِمِّ . . . أَذِنْتُ لكِ أن تتكلَّمى . . .

الأهوازية : لا أتكلَّم حتى تُخْلِيَنِى بك أيها الأمير .

الحجاج : وماذا يمنعنى ؟ لكِ ما تريدين .

« الحجاج » يشير إلى أتباعه أن يغادروا البهو فإذا هم ينصرفون .
« الأهوازية » تشير إلى صحبها من الرسل أن ينتحوا ناحية الشرفة ، فيذهب بهم الأحراس فى جانب من الشرفة غير بعيد .

الحجاج : ما أَرْوَعَكِ فى تدبير المفاجآت !

الأهوازيَّة : أتراها مفاجأةً ثَقُلَتْ وَطْأَتُهَا عليك ؟

الحجاج : بل إنها مفاجأة جميلةٌ يا « أهوازية » .

الأهوازية : أىَّ جمال فى أن أفاجئك وأنا لعدوكِ عَوْنٌ عليك ؟

الحجاج : حَسْبى أنها فرصةٌ يَسَّرَت لى أن ألقاكِ بعد طول بِعَاد !

الأهوازيَّة : لا يا « حجَّاج » . . . أَقْصِرْ عن مثل هذا القول ، فلستُ أهوازيَّتَكَ التى كنتَ تعرِفُ أمرَها من قبل . . . أنا اليومَ غيرى بالأمس . . . لقد تبدَّلَ كلُّ شىء ، فامحُ من عقلِك كلَّ ما مضى ، وانسَ ما كان بينى وبينك ، واستيقِنْ أن من يكلِّمُكَ الساعةَ « شبيب » !

الحجاج : أراكِ قد آثَرْتِ اللَّحَاقَ به ، تَنْصُرينَه على أمره !

الأهوازيَّة : وكيف لا أفعَل وهو مُوشِكٌ أن يُدِيلَ دولةَ « بنى مَرْوان » ، وأن تكونَ له من دُونِكم إمارةُ المؤمنين ؟ . . . بل كيفَ لا أفعل وقد واعَدَنى أن يَشْفِىَ منك غَليلى ؟ !

الحجاج : مُوَفَّقَةٌ أنتِ أبداً فيمن تَصْطَفِين من الرجال . . . إنى لأذكرُ كيف اصطفيْتِنِى من قَبْلُ ، وما زلتُ أتمثَّل أولَ لقاءٍ كان بيننا يا « أهوازية » !

الأهوازيَّة : بِئْسَ ما اخترتُكَ يا « حجّاج » ... يا لَهُ من اختيار سَيِّءٍ عَقِيم ... لا تُذَكِّرْنِى أيامَنا الخَوالِىَ ، فما حضرتُ إليك لأجدِّد بكَ العهدَ القديم !

الحجاج : يا طِيبَهُ من عهد !

الأهوازيَّة : لا يُطَوِّحَنَّ بك الظنُّ إلى أنكَ تُلِينُ بهذا القول من قَنَاتِى ... فأمْسِكْ عليكَ قولكَ المعسول !

الحجاج : يميناً يا « أهوازية » إنى لأحفَظُ لأيامكِ أطْيَبَ الذِّكْرىٰ ...

الأهوازية : عَدِّ عن هذا ، وأخبرْنى : أعَلِمْتَ فِيمَ قَدِمْتُ عليك ؟

الحجاج : سمعتُ زعيمَكِ يقول إنه باعثٌ إلىَّ بمن يفاوضنى فى أمرٍ ذى بال ... أمرٍ فيه صلاحنا جميعاً .

الأهوازية : قُصارَى ما يطلبُه « شبيبٌ » إليكَ أن تُسْلِمَ نفسَك إليه ، وأنتَ آمِنٌ ما دمتَ تستسلمُ له بالطَّوْع .

الحجاج : أُسْلِمُ نفسى ؟ عجيبٌ ما يطلبُ « شبيب » ، وأعجَبُ منه أن تكونِى رَسُولَه فى هذا المَطْلَبِ الوَعْر ، وأنتِ تعرفين مَنِ « الحجاج » ؟ . . . سألتمانى شَطَطاً !

الأهوازية : لا يَذْهَبَنَّ عن فِطنتكَ أنك لا تُسْلِمُ نفسَك إلى « شبيب » . وإنما تُسْلِمُها إلىَّ !

الحجاج : تريدين أن أكونَ أسيراً فى قبضَتِك ؟

الأهوازيَّة : أجل ، لِأُذِيقَكَ من الذُّلِّ ما فيه لنفسى شِفاء .

الحجاج : قَسَماً إن قلبَك ما زال يَتَضَرَّم حبًّا لى !

الأهوازيّة : خسِئْتَ . . . إنى أكرهُكَ . . . أكْرَهُكَ ما وَسِعَنِى أن أكْرَهَ !

الحجاج : كِلانَا صادق ، فأنتِ تحبيننى ، وأنتِ تكرهيننى . وإن ذِرْوَةَ الحبِّ لتلتقِى أحياناً بالكراهية ... قلبُكِ خَفَّاق بحبى . فلا تكابِرِى ، ولا تُنْكِرِى !

الأهوازية : لا تَدَّعِ أن لَكَ فى قلبى نصيباً ، فقد وهبْتُ قلبى « شبيباً » ، وهبتُه الرجلَ الذى يقاسِمُنِى الحبَّ مَحْضاً .

الحجاج : وأنا ؟ أتَجْحَدِينَ أنى أحببتُكِ مثلَ حبِّكِ إيَّاىَ ؟

الأهوازية : أنتَ تُحِبُّ ؟

تضاحك ساخرة .

أتعرِفُ شيئًا اسمُه الحبُّ ؟ وهل يعرفُ الحبَّ قلبٌ أَغْلَفُ أَصَمُّ ، مثلُ قلبِكَ الأَغْلَفِ الأَصَمِّ ؟

الحجاج : أَمَا إنّكِ واللهِ لَظَلُوم ! . . . لقد شَغَلْتِ بحُبِّكِ قلبى أجمع .

الأهوازية : زُخْرُف من القول وَزُور .

الحجاج : أنتِ تعلمين علمَ اليقين أنى بكِ مفتون !

الأهوازية : عِلْمُ اليقين عندى أنكَ أنتَ كَذَّابٌ أَشِر !

الحجاج : لو كان وَراءَ اللهِ ما أُقْسِمُ به ، لأقسمتُ لك جَهْدِى

إنِّى أحببتُك من قبلُ ، وإنى مُحِبُّكِ من بَعْدُ . .

الأهوازية : الآنَ تسخُو بهذا الإعتراف ، وقد أَبَيْتَ من قبلُ واستكبرتَ !

الحجاج (دانياً منها) : ألم تكونى تَعْرِفين أنى أهواكِ يا « أهوازية » ؟ . . . هَوِيتُكِ منذ تلاقَيْنا أولَ مرة ، وتراءَيْنا أولَ نظرة ، وما زالَ هَواكِ يملأُ ما بين جوانحى !

الأهوازية : وَلِمَ تَعَاصَيْتَ ، لا تكشِفُ عن حبِّك ، ولا تَبُوحُ لى بمكنونِ قلبك ؟

الحجاج : إنها كِبْرِياءُ الرجلِ يا « أهوازية » !

الأهوازية : وأينَ الآن كبرياؤكَ يا « حجاج » !

الحجاج : ماذا بَقِيَ لى حتى تَبْقَى كبريائى ؟ ألا تَرَيْنَنِى قد فقَدتُ كلَّ شىء ؟ إنى لأَقِفُ الآن فى أُخْرَيَاتِ ساعاتى ، أراجعُ نفسى ، فأشعرُ فى هذه الساعة

الفاصلةِ بأن قلبي قد فَرَغَ من كلِّ شيء، فلم يَعُدْ
يَشْغَلُه إلا حُبُّكِ العارمُ المشبوب !

يتعالى الدق بباب القصر .

شَبِيب (من وراء الباب) : أما آنَ أن تنتهيَ المفاوضة ؟

الأهوازية : أَمْهِلْنى قليلاً يا « شَبِيب » ... كدنا نَنْتهى إلى
قَرَارٍ يا « شَبِيب » !

تقول « للحجاج » مقبلة عليه :

أَحقًّا لا شاغِلَ لك الساعةَ إلا حُبُّكَ إيَّاىَ ؟

الحجاج : هى الحقيقةُ أَصْدَع بها غيرَ كاتم !

الأهوازية : أما شَغَلكَ عن الحبِّ خَوْفُ الموت ؟

الحجاج : الموتُ لا أخافه ، فإنه كالحبِّ حقيقةٌ لا رَيْبَ فيها.

الأهوازية : عجيبٌ أن يكونَ هذا مَدَى إيمانِكِ بالحبِّ وبالموت.

الحجاج : وأىُّ عجب فى الإيمان بهذين ؟ الحبُّ راحة القلب،
والموتُ راحةُ الجسد . وقد أحببتُ ، فبلغَ قلبى

مُرَادَه . وسأموت ، فيستريحُ جَسَدِىَ المنهوك !

الأهوازية : ما دارَ فى خَلَدِى قطُّ أنكَ أحببتَ !

الحجاج : الحبُّ طرائق ، وكل مُحِبٍّ يجرى فى حُبِّه وَفْقَ فِطْرته ، وما رُكِّبَ فِيهِ من طباع . . . فليس المُحِبُّونَ بِأَشْبَاهٍ !

الأهوازية : عجبًا لك . . . إذنْ أنتَ أحببتَ ، وكان حُبُّك وَفْقَ فِطرتك ، وما رُكِّبَ فى طبعك ؟

الحجاج : لقد عَهِدْتِنِى صُلْبَ القَناة ، عَنِيدَ الرأى ، غَلَّابَ العزم ، لابدَّ لى أن أنتصر ... فكان حبِّى إياك طَوْعَ هذه الخِصال ، فلم تحتمِلِى ذٰلِكِ منى ، وضَجِرْتِ بحبِّى .

الأهوازية (وهى تغالب عاطفتها له) : وهل تراكَ انتصرتَ فى حبك ؟

الحجاج : الحبُّ سواءٌ فيه الغالبُ والمغلوب ، فما تعرفين

لأيِّهما مُتْعةُ الظفر ، ومَجْدُ النصر ؟

«الأهوازية» تتدانى من « الحجاج » على حين يتابع قوله :

هَا أنتِ ذى تَرَيْنَنِي أقفُ منكِ وقْفَةَ مقهور منهزم ، أُفْضِى إليك بكل ما طَوَيْتُه فى نفسى ، وأبوح لك بحبى ، بعد أن حَرَصْتُ على كتمانه دهراً طويلا . . .

الأهوازية (فى شىء من التخاذل) : أمَّا الآنَ فلا سبيلَ إلى تَدَارُكِ ما فاتَ . . . ليتَك أسْمَعْتَنِى هذا القولَ قبلَ اليوم !

الحجاج : ما دام قلبانا يَخْفُقَانِ بحبٍّ موصول ، ففى مُكْنَتِنَا أن نستدركَ ما نريد .

يتواجهان .

فترة صمت .

الأهوازية : إذا كنتَ صادقًا فيما تؤكِّد لى من حبِّكَ إيَّاى ،

فماذا يَضِيرُكَ من إسْلامِ نفسِكَ إلىَّ ؟ ستكونُ أَسِيرى !

الحجاج : لو كنتُ على ثِقَةٍ أنى سأكونُ أسيرَكِ أنتِ لما توانَيْتُ ، ولكن «شبيبا» من ورائك يا «أهوازية»

الأهوازية : سأحميك من « شبيب » ، وسأردُّ عنك بطشَه .

الحجاج : إنه الحاكم المطلق . . . ولا آمَنُهُ على نفسى !

الأهوازية : إنما لِيَ الحُكْمُ من دونه . . فهو يحبُّنى أشدَّ الحبِّ ، ولا يَعْصِى لى من أمر .

الحجاج : وهل تريدين منى أن أحيا معكما ، أشهَدُ كلَّ يوم هٰذا الغَرَامَ الآمِرَ النَّاهِىَ ؟ . . . هذا عذابٌ لا قِبَلَ لِى به ، وأَرْوَحُ منه الموتُ الزُّؤَامَ !

الأهوازية : لا تَكُنْ صُلْبًا عنيدا ، فالحياةُ غالية ، والحِرْص عليها طبيعةُ كل حىٍّ . . . فارضَ هـذا التدبيرَ تَغْنَم ، وأَسْلِمْ نَفْسَكَ تَسْلَمْ !

الحجاج (مهتاجاً ، حيا) : لا ، لا أرضَى الحياةَ عذابا . فالموتُ العَجُول ، خير من عَذَابٍ موصول !

يأخذ يدها ، قائلا :

الموتُ أحَبُّ إلىَّ مما دعوتِنِى إليه ، فبربِّكِ اقتُلينِى ...

يستل خنجرا من خاصرته ، ويدفع به إليها .
« الأهوازية » مبهوتة تنظر إلى الخنجر .
« الحجاج » يكشف عن صدره ، قائلا :

أُطْعُنِينِى ، فإن لم يُسْعِفْكِ الخنجرُ ناولتُكِ السيفَ ...

الدق يشتد بالباب

الحجاج (صائحاً) : تَمَهَّلْ « شَبِيبُ » فإن لكَ ما أنتَ طامحٌ إليه .

يقول « للأهوازية » :

مالَكِ لا تَطعُنِينَنِى ؟ الخِنْجر فى يدك ظامِئٌ ، فرَوِّيه بدمى !

الأهوازية : لا أطعُنُكَ ... لا أطعَنُ قلباً يَكْمُنُ فيه حبِّى ...

أريدُك حيًّا !

الحجاج : أللحبِّ تريدين حياتى !

الأهوازية : هذا شأنى ، فلا تسألنى . . .

الحجاج : عَذِّبْنِى حيًّا ، فأريحِينى مَيْتًا !

الأهوازية : تحاولُ عبثًا أن تستميلَ قلبى ، وتستدرَّ إشفاقى . وما إخالُكَ إلا تبغِى كَسْبًا لوقتك ، وخلاصًا من مَأزِقِكَ !

الحجاج : ربما كان حرصُكِ على هٰذا أشدَّ من حرصى . . .

الأهوازية : أأنا أبغِى أن يطولَ وقتك ، وأن تخلُصَ من مأزِقِك ؟

الحجاج : أُقسم لك على هذا بكلِّ يمين !

الأهوازية : وماذا يدعونى أن أصنعَ هذا معك ؟

الحجاج : إبقاءً علىَّ ، وإنجاءً لى . . . فأنتِ تعلمينَ أن جيشَ النجدةِ فى طريقِه من « البَصرة » إلىّ !

« الأهوازية » تضاحك فى اهتياج .

الأهوازية : اِعلم يا « حجاج » أنى بسطتُ لكَ فى الحديث ،
لكى أَشفىَ غليلى منك ... لكى أُشبعَ شماتتى
بك ... لكى أستمتعَ بمرآك حِيالى ، وأنتَ فى
حالٍ مَهِين !

الحجاج : تُوهِمِين نفسَكِ بذلك باطلا .

الأهوازية (وقد ضاق ذرعها) : قولٌ فَصْل . عَلامَ اجتمعَ أمْرُك ؟

الحجاج : عَمَّ تَسْأَلين ؟

الأهوازية : أتأبىٰ أن تُسْلِمَ إلىَ نفسَك ، لِتُكْتَبَ لكَ الحياة ؟

الحجاج : أبهٰذا القدرِ يَعْنِيكِ أن أحيا ؟

الأهوازية : أَوْجِزْ جوابَك فيما سألتُكَ عنه .

الحجاج : لا أُسْلِمُ نفسى ... إنى مُحامٍ عنها ما بَقِىَ فِىَّ رَمَق !

الأهوازية : لقد مَحَضْتُكَ نُصحى ... وَدَاعًا !

الحجاج : وَدَاعًا !

تهم « الأهوازية » بالخروج .
« الحجاج » يقول لها مستوقفا :

بَقِيَتْ لى كلمة يا « أهوازية » !

الأهوازية : ماذا بَقِيَ لكَ من قول ؟

الحجاج : إنها رغبة جامحة تستبدُّ بى فى هذه الساعة العصيبة .

الأهوازية : أَلْقِ إلىّ برغبتك، أَنظُرْ ماذا تريد ؟

الحجاج (متضرعاً) : أَشْتَهِى منكِ قُبْلَة ... هَبِينِى إيَّاها فَدَيْتُكِ ... قُبلة واحدة !

« الأهوازية » تتضاحك فى اهتياج .

« الحجاج » يتابع قوله مشبوب النفس :

قُبلة من هذا الفَم العَذْب ... ما أروعَهما شفتين !

الأهوازية : أأنتَ بهما مُتَيَّم ؟ أَعَرَفْتَ لهما قَدْرَهما؟ طلبتَ مُحَالا !

الحجاج (مقبلا عليها) : أتبخَلين برَشْفَةِ ماءٍ على مُحْتَضَرٍ يدنو من شَفَا الموت ؟

يركع أمامها فى تذلل .

قبلة واحدة أَبْرُدُ بها شَوْقِى ...

« الأهوازية » تغالب نفسها فى التمنع ، وقد أخذت تستنيم .

« الحجاج » يتابع قوله :

كانت القُطوف دانيةً من يدى فتركتُها تَنْأَى عنى . شَدَّ ما جَحَدْتُ النعمةَ الكبرى ... رُحْماكِ يا « أهوازيةُ » رُحْماكِ !

يتشبث بها مسترسلا فى قوله :

يميناً لو كانتْ لى فى الحياةِ بَقِيَّة لَوَقَفْتُ على مَرْضاتِكِ نفسى ، أُكَفِّر عما سَلَف من جحودى ... ألا قد أَقْسَمْتُ ، اللهم فاشهَدْ !

الأهوازية (وكأنها تنفلت منه) : دَعْنى ، دعنى ، لا تخدَعْنِى عن نفسِى !

الحجاج : اِلْبَثِى قليلا ، لا تحرمينى قُبْلَةَ وَدَاع !

الأهوازية (متراخية) : أَلاَ تَدَعُنِى ؟ أَلاَ تدَعُنِى ؟

الحجاج : آه لو أَخْلَصْتِ لى يا « أهوازية » آه لو كنتِ لى

عَوْنًا على نجاتى من هـذا الموقف الضَّنْك . . . آه يا حبيبتى . لو أَسْدَيْتِ إلىّ هذا الجميلَ ، لفرَغْتُ لكِ وحدَك لا ينازِعُك فِىَّ مُنازِع !

يقول لها فى همس متوقد :

أُحبُّك يا « أهوازية » . . . أنتِ سَوَادُ عينى ، أنت سُوَيدَاءُ قلبى !

يتوافقان لحظة ، وأعينهما تتناجى .
يبدو على « الأهوازية » أنها تدنو منه فى مسارقة دون وعى .
الدف بالباب يتعالى .
أصوات تتصايح .
« الأهوازية » تنتبه من غفوتها .

الأهوازية (وهى تنأى عن « الحجاج ») : كلا . . . كلا . . .

تصيح قائلة :

اِنتهَى الأمرُ يا « شبيب » . . . هأنذِى قادمةٌ إليكَ .

تلتفت إلى أحراسها ، فتدعوهم قائلة :

هَلُمُّوا معى . . . إنا منصرفون .

تنصرف «الأهوازية» وقبل أن يطويها الطريق
تعدل بوجهها إلى «الحجاج» قائلة :

وَداعاً . . . وَداعاً إلى غير مُلْتَقَىٰ !

تهرول خارجة .
«الحجاج» واقف يتبع «الأهوازية» نظره .
يسمع صرير الباب وهو يرد بشدة .
أعوان «الحجاج» يقبلون عليه ، وفيهم
«عنبسة» و «أبو بردة» .

الحجاج (صائحاً) : سُلُّوا السيوفَ من أغمادِها ، بل حَطِّمُوا أغمادَ السيوف ، فلا حاجةَ لنا بها بعدَ الآن . . . سَنَلْقَى عدوَّنا شُجْعاناً مستبسِلين ، فإما أن نحيا كُرَماء ، وإما أن نَمُوتَ شُهَدَاء !

الجمع يتخذون أسلحتهم ويشهرون سيوفهم ،
ويتأهبون .
برهة صمت مرهوب .
نفير يدوى .

أبو بُرْدَة : أىُّ نفير هذا ؟

عَنْبَسَة : لابدَّ أن جموعَ «شبيب» تُزْمِع الهجومَ على القصر .

الحجاج (يتشمر والسيف فى يمينه) : فليهجُموا هَجْمَتَهم... إنّى لها!

برهة صمت وارتقاب يغشاها قلق .

الحجاج (مهموماً) : أينَ « شبيب » ؟ ماذا يُبَيِّتُه لنا ابنُ الروميّة ؟ ما لِجُنْدِه لا يتحركون ؟

يقبل حرسى من جانب الشرفة عجلان .

الحَرَسِىّ (وقد سمع قول « الحجاج ») : بل إنهم يتحرّكون يا مولاى . . . إنهم يَجْلُون عن ساحةِ القصر !

الحجاج (فى دهشة وحيرة) : ماذا تَعْنِى ؟

« ابن مسعود » يدخل مسرعا .

ابن مسعود : إنَّ « شَبِيباً » أيها الأمير يَفُكُّ حِصارَه للقصر !

الحجاج : أعَلَى ثِقةٍ أنتَ بما تقول ؟

ابن مسعود : كنتُ فى المَرْقَبة المستورة أتطلَّع ، فارتقتْ إلى سمعى أطرافٌ من حديثِ جُنْدِ « شَبِيب » ، فعَجِلْتُ إلى سِرْدَابِ القصر قريباً من مكانهم أستَرِقُ السمع ،

فعلمتُ أنهم أزمَعوا أن يَجْلُوا عن « الكوفة » !

عنبسة : ألا تكونُ ثَمَّةَ حِيلة ؟ إن « شَبِيباً » صاحبُ كيد !

ابن مسعود : لا بقاءَ « لشَبِيبٍ » فى « الكوفة » بعدَ الليلة . . .
لقد سمعتُ حديثَ القوم فيما بينهم يا « عَنْبَسة » !

« الحجاج » يقترب من الشرفة ناظراً فى حذر والجمع من ورائه .
« ابن مسعود » يتابع قوله :

ألا يرى الأميرُ شراذِمَ الجند مُدْبِرين ؟

الحجاج (وهو يحد بصره متطلعاً) : إنى لألمح كَوْكبتين من الجيش ، إحداهما تُوَلِّى وجهَها قِبَلَ المَشْرِق ، والأخرى تَنْحُو نحوَ المغرب .

ابن مسعود (مشيراً بيده) : الكوكبة المُشَرِّقة تقودُها « غَزَالة » و« جَهِيزة »، فأما هذه المُغَرِّبة فتقودها « الأهوازية » و« شَبِيب » .

الحجاج (وقد تزحزح عن موقفه ، يقول مهتاجاً) : يا لَقَلْبِ المرأة !

لقد خدَعْتها فخدعَتْ هى صاحبَها . . . لقد نفَثْتُ سُمىً فى دمها فنفثَتْ هى سُمَّها فى دمه . . . لقد أرضَيْتُ كبرياءها ، ومَنَّيْتُها بما يَطْمَحُ إليه فؤادُها ، فلم يَعِزَّ عليها أن تُقْنِعَ « شَبِيباً » بالخروج !

يصيح قائلا :

انكشَفَتْ الغُمَّة . . . آمنتُ بأن حَظِّى فى صُعُود !

عنبسة (للحجاج) : أتكون « الأهوازيةُ » هى التى زَيَّنَتْ « لشَبِيبٍ » أن يَجْلُوَ عن ساحةِ القصر ، ويُدْبِرَ عن « الكوفة » ؟

الحجاج : وَيْحَكَ من غُفْلٍ . . . إنه الحبُّ يا « عَنْبَسَة » . . . ليس كالحبِّ شىء يَصْنَعَ المعجزات !

يواجه من حوله من الجند :

ماذا يقعُد بكم؟ اجمَعُوا جموعَكم ، واتَّخِذُوا نِبالَكم ، وارمُوا ظهر « الأهوازية » بالسهام . . . ارمُوا ظهرَ

« شَبِيبٍ » وصاحِبَتِهِ . . . لا تَنُوا . . . عَجِّلوا . . .
عَجِّلوا . . .

الجند فى هرج ومرج ينفذون أمر « الحجاج »
فلا تلبث السهام أن تنطلق . . .

عَنْبَسَة (للحجاج) : أنضرب ظَهْرَ من عَمِلَتْ على إنجائِكَ
أيها الأميرُ ؟

الحجاج (يصيح ، وقد لكز « عنبسة » حتى كاد يسقط) : اِضرِبوا .
اِضربوا . . . سَدِّدُوا الضربَ وأَحْكِمُوه . . .
أَصِيبُوا المَرْمَى ! !

تندفع السهام

الفصل السابع

يوم من أيام العام التم للتسعين من الهجرة .
مدينة « واسط » التى بناها « الحجاج » وجعلها مقراً لولايته .
بهو من أبهاء قصر الإمارة يسمى « القبة الحضراء » البهو لا أحد فيه .
هرج ومرج فى دخيلة القصر ، يتبين منه صوت « الحجاج »

صَوْتُ الحجَّاج: « تِياذُوق » . . . أَيْنَ « تِياذُوق » ؟ . . . عَلَيَّ بِهِ .

تَبْدو « الأهْوازية » من دَخيلَةِ القَصْرِ فَلْقَةً حَيْرى .
لاتكادُ تَخْطو خُطُواتٍ حَتَّى يُقابِلَها « عنبسة » قادِمًا .

عَنْبَسَة (للأهوازية) : ما لَكِ يَأْخُذُكِ الفَزَعُ ، كأنما الدُنيا قُلِبَتْ رأساً على عَقِب ؟

صوت الحجاج (مُغْضَبًا) : « تِياذُوق » . . أين « تِياذُوق » . . . عَلَيَّ بِهِ !

الأهوازية (لعنبسة) : أَبَلَغَ سَمْعَك ؟

عَنْبَسة : أىُّ طَلِبَةٍ لِلأمير ؟

الأهوازية : يَبْغِى طَبِيبَهُ « تِيَاذُوقَ » . . . ولَيْسَ « لِتِياذوقَ » مِنْ أَثَرٍ !

صوت الحجاج: إلامَ أَطْلُبُ « تِيَاذُوقَ » ؟ ما لَكُمْ لا تُسْعِفونَنِي به ؟

عنبسة (للأهوازية) : أميرُنا لا صَبْرَ له على مَطْلَبٍ . . . لِمَ يَطْلُبُ « تياذوق » ؟

الأهوازية : إنه يَتَشَكَّى ويَتَوَجَّعُ . . . رَأْسُهُ مَصْدوع ، ومَعِدَتُهُ تَلْتَوِى عليه .

عَنْبَسَة : وأىُّ شىءٍ فى ذلك جديدٌ عليه ؟ ما أَكْثَرَ ما اعْتادَتْهُ هذه الأَوْجاعُ ! لَقَدْ سَأَلَ الأَطِبَّاءَ أَيُّ الأَمْكِنَةِ أَطْيَبُ ماءً ، وأَعْدَلُ إقْلِيمًا ، فَوَصَفوا لَهُ هٰذِهِ الرُّقْعَةَ مِنَ الأَرْضِ ، فَبَنَى فيها مدينةَ « وَاسِط » مُتَأَنِّقًا فى بِنائِها ، مُسْرِفًا فى الإنْفاق عليها . وها نحنُ أُوْلاءِ

فيها مُنذُ ثلاثةِ أعوامٍ ، والأميرُ على حالِهِ شاكٍ
مُتَوَجِّعٌ ، لم يَنْفَعِ الماءُ ، ولم يَنْجَعِ الهواءُ . . .
ما أخالُ الأميرَ إلّا أفْرَطَ اليومَ فيما طَعِمَ !

الأهوازية : كَدَأْبِهِ يا « عَنْبَسَة » ، يُفْرِطُ فى الطعامِ والشراب ، حتى إن كان دواءً . . . لقد أَلْتَهَمَ اليومَ مِلْءَ عَشْرٍ مِنْ صِحافِ الفُسْتُقِ !

عَنْبَسة : يأكلُ مِلْءَ صِحافٍ عَشْر ؟ ما أقلَّ حِيلَةَ الطبيب فيه ! لقد شارَفَ أميرُنا الخمسينَ من عُمُرِهِ ، وما بَرِحَ مُنْهوماً غايَةَ النَّهَمِ .

الأهوازية : إنَّ نَهَمَهُ جُزءٌ من طَبْعِهِ الأصيلِ . . . لا يكون « الحجاج » حجّاجًا إلّا إذا كان صاحِبَ نَهَم . . . نَهَمٌ فى كُلِّ شَىءٍ . . . على ذلك فَطَرَهُ اللهُ يا « عنبسة » .

عنبسة : حَقٌّ ما تَقُولينَ ، فإن « الحجاجَ » أبْعَدُ ما يكون عن قَصْدٍ واعتدالٍ . . . إنَّهُ مَنْهومٌ بالطَّعامِ ، مَشْغوفٌ

بالدماء، مُولَعٌ بالنِّساء!

الأهوازية : وذلك ما بَعَثَني فيما مَضَى من الأعوام على أن أُناصِبَهُ العِداء.

عنبسة : واليومَ، ما شأنُكِ معهُ؟

الأهوازية : لَقَدِ انكَسَرَتْ حِدَّتُهُ، فلم يَعُدْ يَنِي وبَيْنَهُ كبيرُ نِزاعٍ.

تُسْمَعُ أصواتُ مُشاحَنَةٍ بَيْنَ «الحجاج» والحَصي «بهروز»
«عنبسة» و«الأهوازية» يُرْهِفانِ سَمْعَيْهِما.
يُقْبِلُ الحَصي «بَهروز» مُهْرولاً يَتعثر، لايكادُ يتبين مَنْ حَوْلَه.

الأهوازية (آخِذَةً بِكَتِفِ «بهروز») : ماذا وَراءَكَ؟

بَهْروز : رَحْمَةً بنا مَولاتي... لقد تَوَعَّدَنا الأميرُ، وَهُوَ مُنَكِّلٌ بنا جَميعاً إنْ لم نَأْتِهِ «بتياذوق». وأَيْنَ هو؟ لقد أَشْخَصْنا جَمْعاً من الرُّسْلِ يَنْشُدُونَهُ... بِحَقِّكِ يا مَوَلاتي، أُدْخُلي إلى الأمير، فَهَدِّئي مِنْ رَوْعِهِ، فليس أحدٌ بمستطيعٍ ذلك سِواكِ.

عنبسة (للأهوازية) : فَلْتَفْعَلِي . .

الأهوازية : لَقَد كُنتُ عِنْدَهُ مُنْذُ قَليلٍ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُخْلِيَهُ بِكاتِبِهِ « يَزِيدَ بنِ أَبِي مُسْلِمٍ » لِيُصَرِّفَ مَعَهُ ما عَجِلَ من الأُمُورِ .

عنبسة : أقادِرٌ الأميرُ على أَنْ يُصرِّفَ شُئُونَ الوِلايَةِ ، وهو على هذه الحال من التَوَجُّع ؟

بَهْروز : إن تَصْريفَ الأميرِ لِلشُّئُونِ فى تلك الساعَةِ وَبالٌ يَنْصَبُّ على رُءُوسِ الناسِ . . . الوَيلُ لِمَنْ تُعْرَضُ أَحْوالُهُم الآن . . . إن دِماءَهُم فى عُنُقِ ذلك الحِمارِ البَطِين الهَرِم الذى نُسَمِّيه « تِياذوق » !

عنبسة : أَتَلْقَبُهُ حِماراً وَهوَ رَأْسُ الحُكَماءِ ؟ لقد كان قَديماً فى « فارِسَ » طبيباً « لِكِسْرَى » .

بَهْروز : لو كانَتْ له بَراعَةٌ فى الطبِّ لَأَراحَ مَولاي الأميرَ مما يُقاسِيهِ مِنَ أَوْجاعٍ . . . قَسَماً إِنَّ « تياذوقَ »

رأسُ البُلَيْهَ، وعليه التَّبِعَةُ فيما يُعانِي الأميرُ !

عنبسة : لا تَتَجَنَّ عليه يا « بَهْرُوز » ، فإنه دائِبٌ فى خِدْمَةِ الأمير ، لا يَدَّخِرُ فى عِلاجِهِ وُسْعاً .

بهروز : أنا لا أتجنَّى عليه ، فَاسْمَعْ ما كان منه ... شَكَا مولايَ ضَعْفاً فى مِعْدَتِهِ ، وقُصوراً فى هَضْمِهِ ، فماذا تَظُنُّ أن يَصِفَ له « تياذوقُ » من دواء ؟ اِحْزِرْ يا سَيِّدى ...

عنبسة : ماذا أَحْزِر لا أَبالَكَ ؟

بهروز : أتُصَدِّقُ أَنَّ ذلك الشَّيْخَ الخَرِفَ أَشارَ على الأميرِ بأن يَأْكُلَ فُسْتُقاً ؟ أيكونُ الفُسْتُقُ عِلاجاً لِلهَضْمِ المُتَعَسِّرِ ؟ ذٰلِكَ ما كانَ من أَمْرِهِ ... تَفاقَمَتِ العِلَّةُ بالأمير ، فَتَمَغَّصَ بطنُه ، ودارَ رأسُهُ ... لقد أَصابَتْهُ هَيْضَةٌ لا يَجِدُ مَعَهَا من قَرَارٍ !

يَتَعالَى صَوتُ « الحجاج » مُتأوِّهاً .

الخصى « بهروز » يتفزع ، فيقول « للأهوازية » :

ناشَدْتُكِ اللهَ أَنْ تَعْجَلِي إليهِ، وأَنْ تَشْغَلِيهُ عَنَّا حتَّى نُحْضِرَ لهُ «تياذوقَ» من مَلاعِبِ الجِنِّ !

يَنْصَرِفُ «بهروز» متعثر الخطو .

عنبسة (للأهوازية) : أَحْسَنَ الخَصِيُّ «بَهْرُوزٌ» فيما أشارَ بهِ، فإنَّ الأميرَ لا يَسْتَكِينُ لأَحدٍ غيرِكِ .

الأهوازية : وهَلْ بَلَغْتُ مِنْهُ هذه المكانةَ إلَّا بعدَ مُطاوَلَةٍ وفَرْطِ عَناءٍ؟ حقًّا إنه الآنَ يَنْقادُ لى ولا يُعاصِينى .

عنبسة : إنَّها هَدْأَةُ الشيخوخَةِ واستِكانَةُ المَرَضِ يا صاحِبَتِي !

«الأهوازية» تحدق إليه .

«عنبسة» يُتابِعُ قولَهُ :

لَوْلا شَيْخوخَتُهُ ووَعْكَتُهُ لَمَا تاحَ لَكِ أَنْ تكونِي سَيِّدَةَ قَصْرِهِ، تُصَرِّفِينَ الأَمْرَ كُلَّهُ

يَتَضاحَكُ ، وهو يقول :

ما أَعْجَبَهُ من مَصِيرٍ ! مَنْ ذا الذي كان يَتَخَيَّلُ أَنَّكَ بَعْدَ هذا النَّضالِ المُسْتَعِرِ بَيْنَكَ وبَيْنَ الأَميرِ ،

تعودين إليه راضيةً مستسلمة ؟

الأهوازية : أنتَ يا « عَنبَسةُ » لا تَعرِفُ كُنْهَ المرْأَةِ ، ولا تَدرِكُ حَقِيقَةَ الحُبِّ !

عنبسة : كَيْفَ تَرمِينَنِي بهذا ، وأنا الذى أَبْلَيْتُ عَشْرَ نِساءٍ ، وما زالَ فِيَّ رَمَقٌ !

الأهوازية : هَبْكَ أَبْلَيْتَ مِائَةً لا عَشْرا . . . أَفيَدُلُّ ذلك على أَنَّكَ فَطِنْتَ إلى أَسْرارِ النِساءِ ، واستَكْنَهْتَ طَوايَا نُفُوسِهِنَّ ؟

عنبسة : عَلِّمِينى مِمَّا عَلَّمَكِ اللهُ بِحَقِّكِ . . . ما أسرارُهُنَّ ؟ وما طَوايَا نُفُوسِهِنَّ ؟ فلعلِّى أُفِيدُ من ذلك فى قابِلِ أَيَّامِى !

الأهوازية : لا أُحَدِّثُ إليك إلَّا عن صِنْفٍ من صُنوفِ النِساءِ ، أنا واحِدَةٌ مِنهنَّ . . . هذا الصِنْفُ يا « عنبسة » لا يَستَهوِيهِ الرَجُلُ الخَوَّارُ المُتَمَيِّعُ ، وإنما يَجْنَحُ إلى مَنْ تَتَجَلَّى فيه قَسْوَةٌ وَعَنف ، والمَرْأَةُ مِنْ ذلك

العَنْفِ تَسْتَمْرِئُ المُتْعَةَ والنَّشْوَةَ فى قَبُولِ هذا العَنف وتلك القسوة . . . ومِن ثَمَّ استهوانى « الحجاج » !

عنبسة : هَبِيني فَهِمْتُ ما تَقُولِينَ ، فَأَخْبِرِينِي بَعْدُ عن حُبِّ « الحجاج » إِيَّاكِ ، أىُّ حُبٍّ هُوَ يا كاهِنَةَ الغَرامِ والهُيَامِ ؟

الأهوازية : إِنَّهُ حُبٌّ عارِمٌ دَفَّاقٌ . . . حُبٌّ مَرَدُّهُ إلى الأَثَرَةِ والسيطرة . وإن كانَ يُنازِعُنِي فى قَلْبِ الأَميرِ حُبٌّ آخَرُ !

عنبسة : حبٌّ آخَرُ ؟ . . . ما خَطْبُ هذا الحُبِّ الآخَرِ فَدَيْتُكِ ؟

الأهوازية : إنهُ حُبُّ المَجْدِ ، نَزْعَةُ الغَلَبِ ، شَهْوَةُ التَّأَثُّرِ والسُّلطانِ . . . وَقَدْ يَطْغَى فى قَلْبِهِ هذا الحُبُّ ، حتى لا يَدَعَ جانِباً لِحُبٍّ سِواهُ . بَغِيضٌ إِلَىَّ حُبُّ

الأَمير لِلمَجْدِ !

عنبسة : اَلمَجْدُ طريقٌ كلُّهُ مَتاعِبُ . . أشواكٌ تَشْقَى بها الخُطا ، وتَدْمَى بها الأَقْدامُ !

الأَهوازية (وهي تُسَرِّحُ طَرْفَها في الأُفُقِ) : وَحَقِّكَ يا « عنبسة » لَسْتُ أَدْرِي ، فَرُبَّما كانَتْ هَذِهِ المَتاعِبُ هي التي جَذَبَتْ هَوايَ إليه !

عنبسة : شدَّ مَا كابَدْتِ مِنَ الأَميرِ جَهْداً ، فَصَبَرْتِ صَبْراً جميلاً !

الأهوازية : ولَكِنَّنا تَلاقَيْنا على هَوًى ، فَقَدْ وَضَحَ لِكُلٍّ مِنَّا أَلاَّ غُنْيَةَ له عَنْ صاحِبِهِ.

عنبسة : ما كان في الحِسْبانِ أَنْ يَنْتَهِيَ بِكُما الأَمْرُ إلى طُمَأْنِينَةٍ ووِفاقٍ.

يُقْبِلُ حَرَسِيٌّ من خارجِ القصرِ

الحرسيّ («لعنبسة» ، مُتَعَجِّلاً) : أَقَدِمَ « تِيَاذُوقُ » يا سَيِّدي ؟

عَنْبَسة : سَبَقْتَنِي إلى الكَلامِ قاتَلَكَ اللهُ . . . أأنتَ تَسأَلُنِي عن « تياذوقِ » أَمْ أنا أسْأَلُك ؟ أكُنْتَ تَرْجُو أن يَهْبِطَ « تياذوقُ » إلينا مِنَ السَماءِ على جَناحَيْ طائرٍ ؟

الحَرَسِيّ : تناقَلَ الأَحْراسُ أن « تياذوق » حَلَّ بالقَصْرِ ، فدَخَلْتُ مُسْتَبْشِراً أَسْتَوثِقُ .

الأهوازية (للحَرَسِيّ) : لا عِلْمَ لنا بأَمْرِ « تِياذوقِ » .

الحَرَسِيّ : يا لَلدَّاهِيَةِ . . . عَلَيَّ أنْ أُجَرِّدَ سَرِيَّةً أُخْرَى من العَسْكَرِ تَتَعَقَّبُ أَثَرَ هذا الطَبيبِ التائِهِ !

الأهوازية : إياكَ أَنْ تَتَوانَى فى الطَلَبِ ، فيَحِلَّ عليك غَضَبُ الأَميرِ .

الحَرَسِيّ يَخْرُجُ مُتَدَفِّعاً .

عَنْبَسة : يَأْبَى اللهُ يا « أهوازية » إلَّا أَنْ يَشُوبَ طُمأْنِينَتَكِ فى كَنَفِ « الحجاج » بأَلْوانٍ من القَلَقِ والاضْطِرابِ .

الأهوازية : مَنْ رافَقَ « الحجاجَ » لم يَأْمَنْ مِنْ قَلَقٍ واضطراب .

عَجِبْتُ من نَفسِى لِماذا رَجَعْتُ إليه ؟

عنبسة : أنَدَماً يا « أهوازية » ؟

الأهوازية : لا نَدَمَ يا صاحِبي . . . فلَوْ اسْتَشْعَرَتُ النَّدمَ لَحْظَةً لَاحْتَقَرْتُ حُبِّى إيَّاه .

عنبسة : أما زِلْتِ مَتَوَلِّهَةً به ؟

الأهوازية : وأىُّ تَوَلُّهٍ ؟ ! ولكِنَّهُ تَوَلُّهٌ غيرُ الذى تَعْنِيه يا « عنبسة » . . . إنه الآنَ فَيْضُ الحَنانَ ، ومَحْضُ الإيثار ، وصدقُ الفِداء . . . أنَسِيتَ يا صاحِ تلك اللَّيْلَةَ العَسْرَاءَ التى لم يَمُرَّ « بالحجاجِ » مِثلُها مِنْ قَبلُ ولا مِنْ بَعْدُ ؟

عنبسة : لَيْلَةَ حاصَرَ « شَبِيبٌ » قصرَ الإمارةِ فى « الكوفةِ » . . . لَقَدِ انْقَضَى عليها نَحْوُ ثلاثةَ عَشَرَ عاماً ، طَوَتْ أُلوفاً مِنَ اللَّيالى ، وما بَرِحَتْ هِيَ ماثِلَةً أمامَ عَيْنَيَّ . نحنُ لكِ بحياتِنا مَدينون ، و « الحجاجُ » شَرِيكُنا

فى هذا الدَّيْن العظيم . . . ما أبْرَعَ حيلَتَك فى إقْناعِ « شبيبٍ » بالخُروجِ عَنَّا ، ونَقْضِ الحِصارِ مِنْ حولِنَا . . .

الأهوازية : ما أَسْرَعَ المُحِبَّ إلى تَصْديقِ مَنْ يُحِبّ . . . لَقَدْ أَوْهَمْتُ « شَبيباً » بأَنَّهُ لا سَبيلَ إلى اقْتِحامِهِ قَصْرَ « الحجاجِ » الحَصينَ ، وأَنَّ كَتائِبَ النَّجْدَةِ تطوى إليه الطريق . . . وما زِلْتُ أُزَيِّنُ لَهُ النَّجاءَ بِنَفْسِهِ ، حتى أَدْبَرَ عَنِ القَصْرِ ، وتَخَلَّى عَنِ « الكُوفَةِ » .

عنبسة : ولكن هل نَسِيتِ يا « أهوازية » أنكِ ما كِدْتِ تُولِينَ « الحجاجَ » ظَهْرَكِ حتى جَزاكِ على جَميلِكِ له بالسِّهامِ تَنْهالُ عليكِ انْهِيالاً ؟

الأهوازية : لَسْتُ أَنْسَى سِهامَ جُنْدِهِ التى مَسَّتْ كَتِفي ، وكادَتْ تُصيبُ مِنِّي مَقْتَلاً . بَيْدَ أَنَّها على شِدَّةِ وَقْعِها لم تَبْلُغْ مَعْقِلَ الحُبِّ مِنْ قَلْبي . . . فَتَرَكْتُ « شبيبا » يَلْقَى

مصيرَه المحتوم ، ورجعتُ إلى الرجل الذى دانَ له القلبُ !

يعودُ الحصىُ « بهروزُ » كاسفَ الوجهِ محزونَ النفسِ .

بهروز : لُطْفَكَ اللَّهُمَّ وعَفْوَكَ !

الأهوازية : أَلَقيتَ « تياذوق » !

بهروز : لَقِيتُ ما هو أبْشَعُ وأشْنَعُ ! . . . إنها مَذْبَحَة . . . مَذْبَحَةٌ عاتيَةٌ !

عنبسة : أيَّةُ مَذْبَحَةٍ يا طائرُ النحس !

بهروز : مذبحةٌ أطاحَتْ خَمْسَةَ أَرواح !

عنبسة : أغْلَبُ الظَّنِّ أنَّهم مِنْ فُلولِ فِتْنةِ « ابن الأَشْعَث » الذين لاذوا بالفِرارِ . . . الأميرُ لا يَفْتَأُ يَحِدُّ فى طَلَبِهِمْ ، لا يُريدُ أنْ يُفلِتَ منهم أحَدًا . . .

بهروز : إنَّهُمْ لا يعرفون « ابنَ الأشعث » ولا ابنَ الأَغْبَر . . .

لم يَجْتَرِموا جُرْمًا ورَبِّ السماءِ . . . يا لَلّهِ من دِمائِهِمْ
التى فاضَتْ بها ساحَةُ القَصْرِ !

الأهوازية : مَنْ أُولَئِكَ الخَمْسة يا « بَهْروز » ؟ . . ألا تعرفُ
لَهُمْ أسماءَ ؟

بهروز : إنها مَخْلُوقاتٌ لا أسماءَ لها . . . خَمْسَةٌ مِنَ الكِلابِ
الشارِدَةِ !

« الأهوازية » و « عنبسة » يتضاحكان

كان ذَنْبُها عِنْدَ الأميرِ أنَّها تَسَلَّلَتْ إلى المَدِينَةِ . . .

« بهروز » يَمْسَحُ الدَّمْعَ فى عَيْنَيْهِ

عنبسة : قُبِّحْتَ مِنْ أَحْمَقَ . . . أَتَسُحُّ الدمعَ على كِلابٍ
شارِدَةٍ شاءَتْ إرادَةُ الأميرِ أَلَّا تَطَأَ مَدِينَتَهِ الجَدِيدَةَ
تَطْهِيراً لَها مِمَّا يُسِيءُ إلى صِحَّةِ النَّاسِ ؟

يُسْمَعُ صوت « الحجاج » مُتَحَدِّثًا وهو يقترب .
« عنبسة » يَنْتَفِضُ قائلا :

الأميرُ آتٍ . . .

يُقبِلُ «الحجاجُ» عَنْ يَمينِهِ «يزيدُ بن أبي مسلم» وخلفهما بعضُ الأعوانِ.
«الحجاجُ» ظاهرٌ عليهِ الإعياءُ، ولكنَّهُ يتجلَّدُ كأنَّهُ معافىً لا يشكو شيئاً.
«عنبسة» يُحييهِ في إجلالٍ

الحجاج (لكاتبه «يزيد بن أبي مسلم»): أتأهَّبتْ خيلُ البريدِ؟

يزيد : كما أمرتَ يا مولاي.

الحجاج : إذنْ فابعثوا عليها الرسائلَ إلى والي «اليمنِ» و«المدينةِ»... سأنظرُ كيفَ يتقاعسُ والٍ عنْ تتبُّعِ الذين فرُّوا منْ أتباعِ «ابنِ الأشعث»؟!

يزيد : لا تتقاعسَ أيُّها الأمير، ولكنَّ الهاربَ يُعْمي طالبَهُ. يتنكَّرُ تارةً فلا يُعرَفُ، ويستخفي أخرى فلا يُدْرَكُ.

الحجاج : لا أُبْقي على ظهرِ الأرضِ أحداً من أتباعِ «ابن الأشعث»... سأطلبُ اللائذين بالفرارِ جُهْدِي... أحسِبوا أنَّهمْ وقدْ مضتْ خمسُ

سنينَ على فَتَنَتِهِمْ نَاجُونَ مِنْ عقابى ؟ . . كَلَّا والْمُنْتَقِمِ الجَبَّارِ !

عنبسة : وَهَلْ بَقِيَ مِن أُولَئِكَ الأَتْبَاعِ الهارِبين إلَّا نَفَرٌ قليلُ ؟

الحجاج : حَقًّا إنَّهُمْ لَنَفَرٌ قَليلُ ، ولكن واحِداً منهم هو رَأْسُ الخَطيئةِ ، ما زال يَمْرَحُ طَليقًا فى مَرَابِعِ « الحجاز » . . . عَنَيْتُ « سَعِيدَ بْنَ جُبَيْر » !

يزيد : سَتَلْقاهُ يا مَولاىَ فى قريبٍ من الوقت ، فلا يَكُنْ أَمْرُهُ عليْكَ هَمًّا .

الحجاج : حَتْمٌ أَنْ يَبْعَثُوا بِهِ إلىَّ . . . لا صَبْرَ لِي على فِرَارِه .

يَشْتَدُّ به الدوار ، فَيَتَرَنَّحُ فى وَقْفَتِهِ ، ويَمْسَحُ جبهته بيده .

تُسْرِعُ إليه « الأهوازية » و « بهروز » ، فَيُنَحِّيهما عنه ، وهو يقول :

ماذا تَبْغِيانِ منِّى ؟

الأهوازية : ألا تُشْفِقُ على نَفْسِكَ ؟

الحجاج (وَقَدْ عَالَكَ ، مُغالِباً ما بِهِ) : إِنِّي بِخَيْرٍ . . . أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ مِنْ وَعْكَةٍ لا بالَ لها . . . إِنِّي أَوْفَرُكُمْ عافِيَةً !

عنبسة : إِنَّا فِداؤُكَ أَيُّها الأَميرُ ، وَما نَرْجو لَكَ إِلَّا أَن تكونَ سالِما !

الحجاج (ناظِراً إلى « بهروز ») : أَما نَهَيْتُكَ أَنْ تُرِيَنِي طَلْعَتَكَ الشَّوْمَى إِلَّا إِنْ وَجَدْتَ « تياذوق » ؟

بهروز (مُتَلَعْثِماً) : إِنَّ « تياذوق » يامولاى . . .

الحجاج (صارِخاً ، مُتَوَعِّداً) : أُخْرُجْ عَنِّي ، وإِلَّا عَلَوْتُكَ بِسَيْفِي !

يَخْرُجُ « بهروز » وهو يَتَكَفَّأُ
« الحجاج » يَقْصِدُ إلى أَحَدِ المَقاعِدِ ، فَيَتَهالَكُ عَلَيْهِ .
يَقولُ « لِيَزيد بن أبى مسلم » وَقَدْ حَقَّتْ جِدَّتُهُ :

أَلَمْ يَرِدِ البَرِيدُ مِنْ عِنْدِ « قُتَيْبَة » ؟

يزيد : إِنَّا مُنْتَظِرُوهُ .

الحجاج : يالِي مِنْ تَباطُؤِ « قُتَيْبَة » ! . . . يالِي من تَراخِيهِ ! . . .

أراهُ لا يكادُ يقتحمُ « بُخارَى » حتَّى ينكلَ عنها . . .
ماذا يُحجمُ به عنْ « بُخارَى » ؟ . . . أعصىٌ عليه أن
يرفعَ رايةَ المسلمين عليها ؟

عنبسة : يرَى الشاهِدُ ما لا يَرَى الغائبُ أيُّها الأميرُ ، ولعلَّ « قُتَيْبَةَ » يُؤثِرُ التَّرَيُّثَ ، إشفاقاً على الجيْشِ أنْ يُلقِيَ به إلى التَّهْلُكَةِ .

الحجاج : حَبِيبٌ إليكُم ما أكرَهُ . . . تُحِبُّونَ التَّوانِيَ وأُحِبُّ العَجَلَةَ . . . تؤثرون البطء وأُؤثِرُ البُكُور !

يزيد : نكْتُب « لقُتَيْبَةَ » تعجَّلْه أيها الأمير .

الحجاج : اُكتُبْ إليه . . . لقَدْ ضاقَ ذَرْعِي بإمْهالِ القُوادِ .
إنْ لمْ يَسيرُوا حَثِيثاً ، أَسْرَعْتُ إليْهِم سَوْطي .
لا حُرْمَةَ عِندي لِهيَّابٍ كَسُولٍ !

« بهروز » يدخلُ عجْلانَ كالزَّوبَعَةِ .

بهروز : جاء « تياذوق » يا مولاى .

يُشير إلى الباب .

يدخل « تياذوق » في صحبته مُساعِدُهُ « فرات »

الحجاج (لتياذوق) : لَكَأَنَّ الأَرْضَ انْخَسَفَتْ بِكَ ، فَلَمْ تَبْقَ مِنْكَ باقِيَةٌ . . . لَئِنْ لَمْ يَسْتَبِنْ لِي وَجْهُ عُذْرِكَ لأَجْعَلَنَّ بَطْنَ الأَرْضِ مَثْوَاكَ . . . أَيْنَ كُنْتَ أَيُّها المارِقُ المُنافِقُ ؟

تياذوق : كنتُ فى أَرْباضِ المدينةِ يا مولاى .

الحجاج : وما شَأْنُك بأرباض المدينةِ ، ثَكِلَتْكَ أُمُّك ؟

تياذوق : اِمْرَأَةٌ مسكينة هنالك جاءها المَخاض ، ولَبِثَتْ أياماً تُعانيه ، حتى كادت تَهْلِك .

الحجاج : أَتَتْرُكُ القَصْرَ مُنْصَرِفاً إلى توليدِ الحوامِلِ يَابْنَ الدَّايَة ؟ ! أَمَاحَجَزَكَ عن ذلك خَشْيَةٌ من غَضَبِي ؟

تياذوق : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مَوْلاى يَطْلُبُنِي ما قَصَّرْتُ فِي التَّلْبِيَةِ . هَلِ الأَميرُ فى حاجةٍ إلىَّ ؟

الحجاج : لا جَعَلَنِيَ الله محتاجاً إليك !

الأهوازية (لتياذوق) : وَهَلْ وضعتْ صاحبتُك ؟

تياذوق : أجل ، وضعتْ غلاماً ، أَسْمَتْه « الحجاجَ » .

الحجاج : أَسْمَتْه « الحَجَّاج » ؟ !

عنبسة : غُلامٌ لعلَّ الله يُنْبِتهُ نَباتاً حسَناً، فيكونَ للدَولةِ عوناً. أطالَ الله بقاءَ الأمير حتّى يَرَاهُ مِن خَدَمِهِ .

الحجاج (لتياذوق) : ولِماذا تَرَكْتَ أمَّ الغُلامِ تسَمِّيه « الحجّاجَ » ؟

تياذوق : لقدْ أرادتْ أنْ تَتَيَمَّنَ بِاسْمِ الأمير ، حَتَّى يَغْدُوَ الغُلامُ هُماماً نافِعاً .

الحجاج (بَعْدَ تفكير) : فإذا كانَ الغُلامُ رَمْزَ خِيبَةٍ وإخفاق ؟

بهروز (مُتَعَجِّباً) : لا فُضَّ فُوكَ أيُّها الأميرُ ! . . . الأُمَّةُ لَيْسَ فيها إلّا « حجاجٌ » واحِدٌ يَعِزُّ أن يكونَ له نَظيرٌ.

يَسْكُتُ لحظة ، ثم يقول ساخِراً :

أرى أن يُسمَّى الغُلامُ بِاسْمِ طبيبِهِ . . . فليكنْ اسمُهُ « تِياذُوق » !

الحجاج (ضاحكا) : أحسنْتَ يا « بَهْرُوز » ، ولكِنى أُشفِقُ على هٰذا الطِفْلِ المِسكينِ مِنْ ذلك الاسمِ الثقيلِ . « تياذوق » . « تياذوق » ... ما أسمجَهُ فى الأسماءِ !

عنبسة : فلْنُخَفِّفْ الاسمَ قليلاً . . . لنَسمِّ الطِفْلَ مِثلاً : « ذوق » !

بهروز (فى سخرية وحماسة) : أو لِنُسَمِّهِ « خَزُوق » !

« الحجاج » ومن حوله ضاحكون

تياذوق (ناظراً شزراً إلى « بهروز ») : لَكَ يَوْمٌ يفْجَؤُك فيه المرض، فتلْتَمِسُ عَوْنى !

بهروز : أيدورُ فى خَلَدِكَ أنى أُسْلِمُ إليك نفسي ، وإنْ بَلَغَتْ بي العِلَّةُ ما بَلَغَتْ ؟ حَسْبُنا مِنْ جَهالَتِك ما يُعانِيهِ مَوْلايَ . انظُرْ ماذا كان مِن أمْرِ نُصْحِك له بأكلِ الفُسْتُقِ . . . أيكونُ الفُسْتُقُ عِلاجاً لِلهَضْمِ يا طَبيبَ

العُجَرِ والبُجَرِ !

الحجاج : أَذْكَرْتَنِي « بَهْرُوزُ » . . .

يلتفت إلى « تياذوق » قائلا له :

كَيْفَ تَصِفُ لى الفُسْتُقَ عِلاجاً لِما أشكو من مِعدَتِي ، فتزيد أوجاعى ؟

تياذوق : لا أَرْجِعُ عَنْ رأيي فى أن الفُسْتُقَ خيرُ علاجٍ لوَعْكَةِ الأمير . . .

الحجاج : أأصدِّق رأيك ، وأكذِّبُ بطنى ؟

تياذوق : ليصفْ لى الأميرُ كيف أكل الفُسْتُقَ ؟

بهروز : ما كاد الأميرُ يطلب فُسْتُقاً حتى تسابقتْ الجوارى فى اجتلابه ، فجعلتُ أَقْشِرُه ، وَقَرَّبْتُه إلى الأمير .

تياذوق : أنزَعْتَ عنه قِشْرَه البَرَّانِيَّ الأحمر ؟

بهروز (مضطربا) : وهل نقدِّم للأمير قلوبَ الفُسْتُقِ غيرَ مقشورة ؟

تياذوق : ألم أَنْهَكَ عن نَزْعِ هـذا القشر البرانيِّ الأحمر ، حتى يَلُوكَه الأمير ، فينتفعَ بما فيه من عِطْرِيَّةٍ وقَبْض ، وتَقْوَى به معدته ؟

الحجاج (لبهروز) : أَعَنْ هذا نَهاك « تياذوق » يابْنَ اللَّخْناء ؟

« بهروز » يغمغم ولا يفصح

تياذوق : وكم صَحْفَةً أكل الأميرُ من هذا الفُسْتُقِ المقشور ؟

الحجاج : أكلتُ ما تيَسَّر . . . لم أَعُدَّ الصِّحاف !

الأهوازية : أنا عَدَدْتُها . . . أكلتَ عَشْراً !

تياذوق (لبهروز) : أما قلتُ لك قَرِّبْ للأمير صَحْفَةً واحدة ؟

بهروز : مَقامُ الأمير أجلُّ من أن نقدِّمَ له صَحْفَة واحدة !

تياذوق (للحجاج) : لا يُطاع أمرى ، ثم يُعابُ نصحى !

الحجاج (لبهروز) : لماذا لم تنفِذ ما رَسَمَ لك « تياذوق » ؟

بهروز (ملجلجاً) : مولاى . . . مولاى . . .

الحجاج (للأهوازية) : لا يطعمُ « بهروزُ » إلا فُسْتُقاً مقشوراً

عَشَرَةَ أيام تِباعاً، فى كل وَجْبَةٍ عَشْرُ صِحافٍ كبار ...
وحرام عليه أن يذوقَ غير ذلك شيئاً !

تنحى « الأهوازية » إيذاناً بالطوع .

بهروز (مرتبكا يتضرع) : أَعْفِنى — عافاكَ اللهُ يامولاى — من الفستق ، واستبدلْ به أىَّ طعامٍ تشاء !

الحجاج : لا أرجعُ عما أمرتُ به . . . إلا أن تطلبَ مَزيدا من الفُسْتُق ، فنزيدَك !

يقول « لتياذوق » :

والآنَ ما علاجُك لهذا الصُّداع الذى يَدُقُّ رأسى ؟

يدنو « تياذوق » من « الحجاج » فينظر فى لسانه ، ويتفحص عينيه .

تياذوق : لا عليكَ من بأسٍ يامولاى . . . ما أهونَ الأمر . . . يضع الأمير قدميه فى ماءٍ سَخِين ، ثم تُدْهَن القدمان بعدُ .

بهروز : هل فوق ذلك من تخليط ؟ مولاى يشكو رأسَه ،

فَيُوصَفُ العلاجُ لقدميه ... أينَ الرأسُ من القدمين
يا أُولِي الأبصار !

« تياذوق » يتأمل « بهروز » مستخفا به ،
ثم يلمس ذقن الخصى .

تياذوق (لبهروز) : أما علمتَ لماذا لا تَنْبُتُ فى ذَقْنِك لِحْية ؟

بهروز (غاضباً) : إرادة الله ... والله فعّال لما يريد .

تياذوق : لقد عَلَّمَنا الله سِرَّ خَلاَء وجهك من لحية الرجال
أيها الخَصِيُّ العظيم ... انْتَزَعُوا شيئاً من أسفلكَ ،
فسقطَ شيءٌ من أعلاك ! .. أليس هذا أعجبَ من
علاجِ رأسِ الأمير بوضع رجليه فى ماء حارّ ؟

« الحجاج » ومن حوله ضاحكون .
تتراءى إلى المكان جلبة .
يسمع وقع حوافر الخيل .
« الحجاج » وحاشيته يرهفون المسامع .

الحجاج : ماذا هنالك ؟

« الأهوازية » و « عنبسة » يعجلان إلى النافذة
فيتطلعان

عنبسة : هذا فارس ينزل عن صَهْوَة جواده ... وكلاهما مُرْهَق منهوك ... يكاد الحصان يَخِرّ على أَدِيمِ الأرض صَرِيعًا .

ينهض « الحجاج » لينظر ، فتفسح له الحاشية فى الطريق .
« يزيد بن أبى مسلم » يأتى مهتاجا .

يَزِيد (فى حمية) : وَفَدَ رسول « قُتَيْبَة » يامولاى .

الحجاج : أَقْدِمُوه عَلَىَّ .

« الحجاج » يرجع إلى مجلسه .
« يزيد بن أبى مسلم » يخرج لحظات ، ثم يعود ومعه رسول « قتيبة » أشعث أغبر ، فى لبوس الحرب ، جهدته الشقة .
« نياذوق » ينصرف وقد أومأ بالتحية إلى « الحجاج » .

رسول قُتَيْبَة (محيياً « الحجاج » فى توقير) : السلامُ على الأمير ...

الحجاج : وعليك السلام يا فتَى ... ماذا تحملُ إلينا من نبإ « قُتَيْبَة » ؟ ...

الرسول : أعزَّ الله الأمير ، وكتبَ له النصر ، وجَمَّل بحياته وَجْهَ الأيام .

الحجاج : ثم ماذا ؟ تكلَّمْ يا فتى !

الرسول : تَمَّ فتْحُ « بُخارَى » ودخلناها بسلام آمنين ، بعد أن جَلَبْنا على العدوِّ هزيمةً ليس له وراءها من قيام !

الحجاج (ناهضاً) : الله أكبر . . . هذا نَصْرُ الله . . . وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ . . . كيفَ تركتَ « قُتَيْبَة » ؟

الرسول : تركتُه هانئاً يَحْمَد الله ، ويدعو للخليفة وللأمير بدوام العز واطِّراد النصر . . . لقد حَمَّلَنِي « قُتَيْبَةُ » إليك قولَه : إن فَتْحَ « بخارَى » حافزٌ له على المُضِيِّ ولن يَهْدَأَ لجيشه جهاد حتى يُعْلِيَ رايةَ الإسلام على ما وراء النهرِ كلِّه .

الحجاج : مَرْحىٰ . . . مَرْحىٰ . . . بُورِكَ فى « قُتَيْبَة » . . .

لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ !

يزيد : إذا تَمَّ الفتحُ لما وراءَ النهرِ ، فليسَ بعدَ ذلك إلا « الصِّين » !

الرسول : وإنا لبالغون « الصِّين » بعونٍ من الله . . . وليس ذلك على الله بعزيز .

يمسح الرسول عرقه ، وقد ازداد إعياء .

الحجاج (للرسول) : أراكَ مجهودًا أيها الرسولُ البَشِير !

الرسول : قطعتُ الطريقَ وَثْبًا ، وطويتُ الأرض طيًا ، لم أسترح إلا نَزْراً ، ولم تغتمضْ عيناى إلا قليلاً . . . وقد هلكتْ تحتَ سَرْجِى وركابى أربعةُ جِيَاد ، واحد بعد آخر . . .

الحجاج (ليزيد) : دونَكَ الفتى فَأَوْسِعْه تكريماً وتنعيما .

يقول للرسول :

كيف خَلَّفْتَ الجندَ ؟

الرسول : على أحسن حال .

الحجاج : وما شأنُ أَعْطِياتِهم ؟

الرسول : ينالونَها جزيلة ، فوقَ ما أَمِلُوا .

الحجاج : أَيُكْثِرُ « قُتَيْبَةُ » من الولائم ؟

الرسول : « قتيبة» يحذُو حَذْوَ الأمير ، وإن ولائمه تَتْرىٰ .

الحجاج : فليزدد من الولائم ما استطاع . . . رأسُ الحكمة إشباعُ البطون ! . . ليسَ كالطعام سلاح ! . . . والآن ؟

ينظر إلى « الأهوازية » :

ماذا تَرَيْنَ فى مكافأة هذا الفتى المِقْدَام ؟

الأهوازية : أَحْسَنُ مكافأةٍ له أن يأنَسَ إلى ثَغْرِ عَذْب ، وصدر حَنون !

عنبسة : نِعْمَ الرأىُ وربِّ البيت !

الحجاج : ما أجدرَ أن يكون لمثل هذا الفتى وَلَد تُبَاهِى به الأمة ، وتَغْنَى به الدولة .

عنبسة : إن أَذِنَ لى الأمير أن أزوِّجه ، اخترتُ له فتاة طيبة الأَرُومة ، هى « عالية » بنت . . .

الحجاج (مقاطعاً) : خَلِّ عنكَ اختيارَ الزوجات ... هذا لى . . .

سأختار لفتانا . يفكر هنيهة

سأختار له . . . يواصل تفكيره

لا أحسنَ منها . . . « بَدْرة بِنْت حَاتِم اللَّيْثىّ »

الأهوازية : أَلاَ تَدَعُ للزوج أن يختارَ زوجَه ؟

مشيرة إلى رسول « قتيبة » .

الحجاج : لقد اخترتُ له وكفى .

يقف قبالة الفتى محدقا فيه .

ولكنْ لا تُزَفُّ إليك هذه العروس الكريمة قبل أن تَزُفَّ إلىّ نبأ دخول المسلمين أرضَ « الصين » !

الرسول : لَيَدْخُلُنَّها لامَحالَةَ ، ولأكونَنَّ السابقَ إلى تبشيرك بأن رايةَ الإسلام على ربوعها تَخْفُق !

تبلغ أسماع الجمع مشاتمة وسباب .
«الحجاج» يقصد الى النافذة، وخلفه «يزيد» و«عنبسة» .

الحجاج : رجل يُضْرَب بالسوط . . .

صوت الرجل (صائحاً) : أَخْزَى الله «الحجاج» . . . أدال الله دولةَ «الحجاج» !

الجمع يستنكرون ما سمعوا

يزيد : يَأْذَنُ لى مولاى فى أن أَعْجَلَ إليه ، فأُدُقَّ عنقَه ؟

الحجاج : بل اذهبْ إليه ، فَأْتِنى به .

ينصرف «يزيد» .
رسول «قتيبة» و«الأهوازية» يتجاذبان الأحاديث
«الحجاج» يقول «للأهوازية» :

لا شأنَ لكِ بزواج هذا الفتى !

الأهوازية (مدهوشة) : لم أكن أتحدّثُ إليه فى هذا الشأن .

الحجاج : لقد اخترتُ له خيرَ أهل ، ولا ينقُصُ اختيارِى أحد !

يشير إلى الفتى أن يغادر البهو ، فيذعن .
يقدم «يزيد» يجر أعرابياً حافياً زريا فى

شملته الهلهلة ، ومن ورائهما الجلاد فى يده سوطه .

الأَعْرَابِىّ (معجبا) : قُبْحًا « للحجاج » وشُقْحًا !

يَزِيد (للأعرابى) : أَعَلِمْتَ فى حضرة من أنت ؟

الأَعْرَابِىّ (وهو يتكاره على نفسه ناهضاً) : فى حضرة من ؟ أأكونُ من حيثُ لا أدرى فى حضرةِ الله عَزَّ وجلّ ، وأنتم زَبَانِيَةُ الجحيم من حولى ؟ .. ألا شاهَتْ هذه الوجوه !

يزيد : ما صبرُ الأمير على هذا المتوقح المتبجِّح ؟ ألا أَخْتَرِطُه بالسيف ؟

الحجاج (وقد أشار إلى « يزيد » أن يتمهل ، يقول للرجل) : اِعلمْ إن كنتَ لا تعلم أنك بين يَدَىْ أمير العراقَيْن ، وأن رُوحَك رَهْن بكلمة تنفرج عنها شفتاه !

الأعرابى : بأىِّ شىءٍ رُوحى رَهِينة ؟ لعلِّى أسأتُ سمعا !

الحجاج : رهينةُ بكلمة من فمى ، بل بإشارة من يدى !

الأعرابى : ألا يَحْجُزُك الحياءُ أن تقول هٰذا وأنتَ من الله بمَرْأًى ومَسْمَع ؟... الأرواحُ بيد الله !

الحجاج : لقد وكَّلَنِى الله بأرواح عباده !

الأعرابىّ (ساخراً) : إذن فأنتَ « عَزْرائيل » قد تمثَّل لنا بَشَراً سَوِيًّا !

الحجاج : تَعَلَّم أيها الجهولُ الأحمقُ أن الخليفةَ ظِلُّ الله فى أرضه ، وقد أقامنى الخليفةُ على الناسِ والياً ، فإذا قضيتُ فى الناسِ قضائى ، فاللهُ قَضَى !

الأعرابى : ذلك هو الفقه الذى غابَ عن الأعرابِ والأعجام جميعاً !

يزيد (للأعرابى) : أَمْسِكْ عليك لسانَك أيها المجترئُ على مَقَامِ الأمير ...

يهم به ليضربه ، فيمنعه « الحجاج » .

الحجاج (يزيد) : ما خَطْبُ هذا الأعرابىّ ؟

يزيد : لقد دخل المدينةَ واغلاً بلا جَوَاز ، فلم تُعْرَفْ له طِيَّة ولا نِيَّة !

الأعرابى : هذه أرضُ الله أسلُكُها ، فما شأنُكُمْ بى ؟

يزيد : وكان من جَرِيرته أنه شُوهِدَ يَبُولُ فى الطريق .

الأعرابى : وأين تريدُنى أن أبولَ لا أبالَك ؟

الحجاج (مهمهماً) : شَدَّ ما أساءَ الرجل !

عنبسة : هذا أعرابىٌّ على فِطرته وجفوته ... وما على الغُفْل من مَلَام ... من أين له أن يعلم أَنْظِمَةَ الأمير التى أخذ الناسَ بها فى هذه المدينة الجديدة ؟

الحجاج : لا نُعْفِيه من عقوبة ، فلو أعفيناه لم نستطعْ للأمر ضبطاً ، ولم نملكْ للنظام قياماً .

الأعرابى : أَبَقِيَتْ عقوبةٌ فوقَ ما نلتُ ؟ لقد ضربونى بالسوط عشرين مَرَّةً عَدًّا ...

يكشف عن ظهره ، فيريه « للحجاج »

أهذا إكرامُكم لمن يَفِدُ على ساحتكم ضيفاً غريباً ؟

يزيد : أخذَ الرجل فى مَلَقٍ وَدِهان ! . . .

الأعرابى : أَمَا والله إنى لا أتملَّق ولا أُداهن ، ولستُ أخشىٰ فى قولة الحق لَوْمَةَ لائم !

الحجاج : إذن فلنخبُرْ ما عندكَ من قولِ الحقِّ .

الأعرابى : تُحْسِنُ صُنعا .

« الحجاج » يقف أمامه يتأمله ، ثم يقول له :

الحجاج : ماذا يقولُ الناس عنى ؟

الأعرابى (بعد قليل من التردد) : يقولون إنك ظَلُوم غَشُوم !

همهمة استياء من الجمع .

الحجاج (مبتسما) : وهل تراهم على حَقٍّ فيما يقولون ؟

الأعرابى : سألتنى عما قالوا ، فأجبتُك . وحَسْبِى !

الحجاج : ما قولكَ أنتَ فِىَّ ؟

الأعرابى : قَوْلِى أنا فيك يا « حجاج » ؟

الحجاج : نعم ... أتَحِيدُ عن قول الحق ؟

الأعرابى : لا ورَبِّكَ لا أَحِيد، ولكنى لا أستطيعُ الحكمَ عليك قبل تجربتك !

الحجاج (مبتسماً) : وعلى أىٍّ نحو تريد أن تكونَ هذه التجربة يَابْنَ البادية ؟

الأعرابى : سأنظر أَتُنْصِفُنى ممن ظلمنى ، أم تكون لَهُ علىّ ؟

الحجاج : ممن تَبْغِى أن أُنصفَكَ يا رجل ؟

الأعرابى : من نفسِك . فأنا أَسْتَعْدِيك عليها ، فقد لَحِقَنِى منك ضَيْر ، ولَقِيتُ عناءً أىّ عناء .

الحجاج : وهل أنتَ بقضائى راضٍ إن قَضَيْتُ ؟

الأعرابى : أَرْضَى قضاءَكَ إن حكمتَ بعدل .

الحجاج (وهو يتفحصه مليا) : وما معرفتُك بالعدل يا أعرابىّ ؟

الأعرابى (مندفعاً) : وهل يجهل العدلَ أحد، ولا سيّما من

كان مثلى مَظْلُوماً يَنْشُدُ عدلا ؟

الحجاج : إذن فأخبرنى ما هو العدل ؟

الأعرابى (بعد تفكير) : العدل هو أن ترفعَ الظلم عنى !

الحجاج : وما معرفتُكَ بالظلم يا أعرابى ؟

الأعرابى : أَظَنَنْتَنِي حيواناً أَعْجَمَ لا يعرف فرقاً بين ظلم وعدل ؟

الحجاج : إذن فأخبرْنى ما هو الظلم ؟

الأعرابى (بعد روية) : هو أن تجانبَ العدل فى قضائِكَ فى شأنى !

يتضاحك « الحجاج » ومن حوله .

الحجاج (للجمع) : أفيكم من يُحسن تَبْيِينَ العدلِ والظلم لهذا الأعرابىّ الغُفْل ؟

يقول « لبزيد » :

أَمُبَيِّنٌ أنتَ ؟

يزيد : العدلُ ما يَجْرِى عليه الأمير فى حكمه ، والظلم ما يقترفُه خصومُه وعِدَاتُه !

الأعرابىّ : وَيْحَك من مداهن متملِّق ...

الحجاج (لعنبسة) : لم يُعْجِبِ الأعرابىَّ قولُ « يزيدَ » ، فتكلمْ أنتَ !

عنبسة : مولاى الأمير يعلم أنى صافيتُ كثيرًا من أمراء البلاد ، وأصحابِ السلطان ، وشهدتُ أقضيتَهم وأحكامهم شَتَّى متغايرة ، فتشابكتْ فى رأسى مَرَامِيها ، وتشابهتْ ألوانُها ، حتى لا أستطيع الآنَ أن أميِّزَ أيُّها ظلم وأيُّها عدل ؟!

الأعرابى : عجيبٌ أمرُكَ يا « حجاج » ... أترانى فَصَلْتُ عن أوطانى فى أعْرَاضِ البادية ، جائعًا لا أكاد أمْسِكُ الرَّمَق ، عاريًا لا أتقى بردًا ولا حرًّا ، لكى أسمَع ما أسمع ؟ قَسَمًا بمن رفع السماء ، لو جَرَى هذا فى

وهمى لما جَشَّمْتُ نفسى مَشَقَّة التَّرْحال إليك !

الحجاج : أَرَحَلْتَ عن وطنك من أجلى ؟ وفيم قُدُومُك عَلَىَّ ؟

الأعرابى : لقد سارت الرُّكْبَانُ بأحاديث سِمَاطِك ، فقلتُ : أَبْغِيهِ، لأَطعَمَ ما لذَّ وطاب . ولكنى بحمد الله لم أجدْ إلا سِمَاطاً طعامُه سِياط تُلهِبُ الظهور ، ومجلساً يُصِمُّ الآذان بالجدال فى حديث الظلم والعدل !

الحجاج : إذن فأنتَ منى ناقم . . .

الأعرابى : لا أَكْذِبُ اللهَ !

الحجاج : وإن أَنَلْتُكَ ما تبغى ؟

الأعرابى : شكرتُ لك صُنْعَك ، وتحدَّثتُ بنعمةِ الله عليك !

الحجاج : اُبسُطْ لى كلّ ما تطلب .

الأعرابى : أقادرٌ أنتَ على أن تُنيلَنِى كلَّ مطلَب لى ؟

الحجاج : ما أرى مَطالبَكَ تَعِزُّ علىَّ .

الأعرابى (بعد تفكير) : أما أولُ مطلب فأن تَكفيَنِى مئونةَ

هذه المعدةِ التى أَضَرّ بها الطَّوَى .

الحجاج : ثم ماذا ؟

الأعرابى (فى شىء من التباطؤ) : ثَمَّةَ شىء لا يَغِيب عن فطنتك فالرجلُ إذا شَبِعَ تاقت نفسُه إلى متعة . . .

الحجاج (صائحاً) : ماذا تَعْنِى ؟ أَفْصِح !

الأعرابى : تُزَوِّجنى حَرَائِرَ أربعاً أَصَائِل !

الحجاج : ولماذا تطلب أربعاً كاملة ؟

الأعرابى : تناهى إلىّ من حكمة الأمير أنه قال : لا تجتمع لرجلٍ لذةٌ حتى تجتمعَ له فى بيتِه أربعُ حرائر !

الحجاج : وماذا بَقِىَ من مَطالبك ؟

الأعرابى : أما بعدَ هذا فلا بُغْيَةَ لى إلا أن تأمرَ لى من المال بما أستطيع أن أُنْفِقَ منه على نفسى ، وأن أَسُوسَ به زوجاتى الأربع ، أصلحَكَ الله !

الحجاج : أجبناك إلى مَطالبك جميعاً ...

الأعرابى (متحمساً) : لم يخلُقِ الله فى أرضه أعْدَلَ منك حكماً يا « حجاج » !

الحجاج : الآن نُنْجِزُ لكَ مَطالِبَكَ مَطْلَباً مَطْلَبا . . .

الأعرابى : خَيْرُ البر عاجلُه يا خيرَ الناس !

الحجاج (لأحد الأتباع) : المطلب الأول طعام ، فلتُجَهَّزْ له مائدةُ عشرةِ رجال تَحْفِل من الأطعمة بما دَسِمَ .

التابع ينصرف مذعناً
«الحجاج» يلتفت إلى الأعرابى قائلا له :

حكمتُ عليكَ أن تأكلَ طعامَ عَشَرَة رجال !

الأعرابى : أنْعِمْ به حكما !

الحجاج : فإذا لم تُجْهِزْ على الطعام كله .... ضَرَبْنَا عُنُقك !

الأعرابى (مشيراً إلى نفسه) : أَبْشِرْ بطولِ سلامةٍ يا أعرابىّ !

الحجاج : خُذْ أُهبتَك لِلامتحان .

الأعرابى (وقد تشمر ولاك لسانه فى فمه) : إنى على أُهْبَة .

الحجاج (لأحد الأتباع) : خُذْ بيده إلى المائدة وأَقِمْ على رأسه شاهرًا سيفَك . فإما قَضَى على الطعام ، وإما قَضَيْتَ عليه !

التابع : السمعُ والطاعة لمولاى الأمير . . .

التابع يشير إلى بعض الجند ، فيحيطون بالأعرابى وينصرفون به .
التابع من ورائهم ، وقد سل سيفه .

الفصل الثامن

يوم من أيام العام الخامس والتسعين للهجرة .
قصر الإمارة فى مدينة « واسط » .
مجلس « الحجاج » فى بهو القصر .
يرى « الحجاج » على النمارق والحشايا ، مشمولا بالملاحف ، أقرب إلى الاتكاء والتمدد منه إلى الجلوس ، وقد غطى رأسه بقلنسوة كورت عليها عمامة خضراء عظيمة ، وهو ممتقع الوجه شديد الهزال ، ومن حوله مدافئ موقدة . وبين يديه قارئ يتلو آيا من القرآن فى مصحف وعن كتب منه «الأهوازية» و«عنبسة» والحصى « بهروز » ، وثلاثة من الأحراس شاكى السلاح .

القارئ (يتلو فى غير تغن ولا تطريب) : « يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . . . »

الحجاج (ينتبه للقارئ ، وقد رابته قراءته ، فيقاطعه) : ماذا تتلو من كتابِ الله ؟ أَعِدْ آخرَ آيةٍ تَلَوْتَ .

القارئ (معيداً التلاوة) : « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ... »

الحجاج (للقارئ) : تَلَوْتَ فَلَحَنْتَ ، وأَعَدْتَ فما فَطِنْتَ... قالَ الله جَلَّ من قائلٍ : « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . »

القارئ يضطرب فى مجلسه .
« الحجاج » يواصل قوله :

ذلك ما كنتُ أخشَى ... العياذُ باللهِ من اللحن فى كَلامِ الله !

يقول للقارئ :

أَبَعْدَ الذى أمرتُ به من إعجامِ المصاحفِ وضَبْطِها تَلْحَنُ يا رجل ؟ ألستَ تَرَى الحروفَ مُعْجَمَة ؟

القارئ (متلعثما) : النورُ شحيحٌ يا مولاى .

الحجاج (مهمهما) : إن كان هذا عذرَك فما عليك من مَلَامَة.

يقول «لبهروز» :

أَزِحْ ما هنالك من الأستار ، حتى ينبعثَ الضياء.

بهروز : لم نَدَعْ سِتْراً إلا أزَحناه يا مولاى.

الحجاج (صائحاً) : فما بالُ القارئ يشكو ؟ ما أظنُّك إلا كاذباً.

الأهوازية : نهارُنا ليس بمشرِق !

عنبسة (وهو يبادل «الأهوازية» النظر) : وسماؤنا ليستْ بصاحية !

الحجاج (متململا فى جلسته) : ما هذه النمارقُ والمُتَّكآت التى حَشَدْتموها حولى ، كأنى بها مُقَيَّد ؟

ينبذها عنه ، ويتابع قوله :

وما هذه المَلَاحِفُ التى أثقلتُمْ بها علىَّ ، كأنى فيها حَبِيس ؟

يكشف عن نفسه الأغطية .

يهم بالنهوض ، فتسرع إليه « الأهوازية » و«عنبسة» و « بهروز » يعينونه .

«الحجاج» يقول لهم :

إليكمُ عنى . . . لا حاجةَ بى إلى أن تُعينونى .

ينهض ، فلا يكاد يسير خطوات حتى يقف مجهوداً يترنح ، وما هى إلا أن يعجل إلى أحد المقاعد ، فيتهالك عليه ، وتعروه قشعريرة ، فيقول :

البرد مشتدّ . . . دثّرونى !

يوافيه الثلاثة بالملاحف ، ويسعلونها عليه ، فيقول :

أَوْقدوا المدافئ . . .

ينظر إلى « بهروز » قائلا له :

أما سمعتَ قولى ؟

بهروز : إنها مُوقَدة يا مولاى .

الحجاج (صائحاً) : ما أظنك إلا كاذباً ! . . . أَوْقد المدافئ غيرَ متباطئ !

ينحو « بهروز » نحو المدافئ ، إيهاما بأنه يوقدها . « الأهوازية » تدنو من « الحجاج » وفى يدها قنينة .

الحجاج : ماذا فى يدكِ ؟

الأهوازية : دواؤكَ أيها الأمير .

الحجاج : نَحِّيهِ عنى . . . هذا عَبَثٌ لا خيرَ فيه . إنه من صَنْعَةِ الطبيبِ الجَهُول « فُرَات » .

يدفع يدها عنه ، قائلا :

لا حاجةَ بى إلى ما عندكم من طِبٍّ ودواء .

بهروز (متحمساً) : الحقُّ ما قال مولاى . . . الشافِى هو الله . . . لقد ماتَ « تياذوقُ » لم يُجْدِه طِبُّه ، وها هو ذا « فُرات » يحذُو حَذْوَ أستاذِه فى اتخاذِ وَصَفاته وعقاقيره ، وإنه عَمّا قريبٍ لَمُلاقٍ مَنِيَّتَه ، فَلاَحِقٌ بأستاذه .

« الحجاج » يتجشأ ، ويتحسس بطنه .

الحجاج : أين الطعام ؟

الأهوازية : لم يَحِلَّ موعدُه بعدُ .

الحجاج : مَن يَمْلِكُ أمرَ طعامى ؟ أنا أم أنت ؟

يدخل «يزيد بن أبى مسلم» ، فيقول «الحجاج» :

مَن القادِمُ ؟

عَنْبَسة : هذا كاتبك « يزيدُ بنُ أبِى مُسْلِم » أيها الأمير .

الحجاج : أُدْنُ منِّى يا « يزيد » . . .

«الأهوازية» تميل على «يزيد» فتسر إليه كلمات

يزيد (وقد خطا إلى «الحجاج» محيياً إياه) : يبدو أن الأميرَ يشكو وَعْكَةً خفيفة ، فَلْأُرْجِئْ الحديثَ إلى حين .

الحجاج : أنا بخير ، وإنما هى عارضة إلى زوال ، فليعلَمْ ذلك دُعاةُ السوء الذين يُرْجِفُون بموتى بين آن وآن . . . ماذا أتَى بكَ يا « يزيدُ » ؟

يزيد : أتيتُ فى شأنِ « سعيدِ بنِ جُبَير » .

الحجاج : ما خَطْبُه ؟

يزيد : مضتْ أيام عليه ينتظر قدومَه عليك .

الحجاج : وأىُّ ضَيْر فى أن يطولَ انتظارُه ؟

يزيد : تَعْلَم يا مولاى أنك ضَرَبتَ غيرَ مرةٍ موعداً تلقاه فيه لتحاسبَه فيما كان من خروجه مع «ابنِ الأشعث» فى فتنته العمياء ، وكنتَ فى كلِّ مرة تؤجِّلُ حسابَه ، وتضربُ لذلك موعِداً جديداً .

الحجاج : لا علىَّ فى أن أضربَ له الموعد ، ثم أعدِلَ عنه . . . لا عَلَىَّ فى أن أؤجِّلَ حسابَه مرةً بعدَ مرة . . . هٰذا لى ، وليس لأحد أن يراجعَنى فيه !

يزيد : إن « سعيد بن جُبَير » يستعجلُ النظرَ فى أمره .

الحجاج : لعله استطال أجلَه ، واستكثَر ما مضَى من عمره .

عَنْبَسة : ما رأينا قطُّ رجلاً أزْهدَ فى الدنيا ، ولا أقلَّ مبالاة بالموت ، من هذا الفقيهِ المُتَنَسِّك .

الحجاج : لا يَعْنِينى أن يكون زاهداً فى حياته أو غيرَ زاهد .

يقول للقارئ :

افتَحِ المصحفَ ، فاتْلُ من آيات الله . . .

القارئ : « قد أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ، بل تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا ، والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى ، إن هٰذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ، صُحُفِ إبْرٰهيمَ ومُوسَىٰ » .

الحجاج : عَزَّ الله من قائل !

يلتفت إلى « يزيد » قائلا :

أَوَعَيْتَ ما قال الله سبحانَه يا « يزيد » ؟ ماذا فى الحياة يُرْجَىٰ ؟ وماذا فى الموتِ يُخْشَىٰ ؟ إنا إلى الله نَصِير !

يقول للقارئ وقد طوى مصحفه :

افتَحِ المصحف ، فاقرأْ منه يا رجل .

القارئ : « وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثًا وَرِئْيًا » .

الحجاج (مقاطعاً) : بُعْدًا لكَ من لَحَّانَةٍ جَهُول !... ما هٰكذا أُنْزِلَتْ الآية ، إنما قولُ اللهِ : « وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا » .

القارئ (متلجلجاً) : النور يا مولاى فى البَهْوِ شحيح . . .

الحجاج (صائحاً) : نحن فى وَضَح النهار ، والأستارُ كلُّها مطويَّة ، فأىُّ عذر لك ؟

القارئ : لعلَّ النور شحيح فى عَيْنَىَّ يا مولاى !

الحجاج : أَتَتعامى أيها الكَذُوب ؟ لقد فَسَدَتْ سَلِيقَتُك ، فَسَرَى إليكَ اللحن ، ولم تُحْسِنْ لكلام الله صَوْنا .

يلتفت إلى الأحراس صائحاً :

خُذُوه إلى السجن . . . لا بَرَاح له منه إلا أن تَسْتَقِيمَ سليقتُه ، ويُصبِحَ لسانُه غيرَ ذِى عِوَج !

الأحراس يشدون على القارئ وينصرفون به .

« الحجاج » يقول « ليزيد » :

ما « لِسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ » يتعجَّل لقائى ؟ أضاق

بالحياةِ ذَرْعاً ؟

عنبسة (مفكراً نفسه) : إنه أَفْقَهُ أهلِ زمانه ، وللفقهاءِ فى الحياة مذاهبُ عجائبُ . . . إنهم لا يُقيمون للحياة وزناً .

الحجاج : إيهٍ « يزيدُ » . . . ماذا تَرَى فى أمر هذا الرجل ؟

يزيد : لولاى الأمرُ كلُّه .

الحجاج : لا تكتُمْ عنى ما عندَك من رأى .

يزيد : أرى ألا نؤخِّرَ محاسبتَه على ما كان من خروجه ، فإن ذلك مَظِنَّة للتأويل ، ومَدْعَاة للأقاويل .

الحجاج : ماذا تَرَى الناس يقولون إن نحن أَنْظَرْنَاه إلى حين؟

يزيد : ليأذَنْ لى الأمير أن أُصارِحَه بأنه اليومَ أقربُ إلى الحلم ، وأَجْنَحُ إلى التغاضى . وإنى أخشَى أن يجرَّ ذلك إلى أن تُطِلَّ الأفاعِى برءوسها ، تنفُثُ القلاقل والفتن .

عنبسة : لا تُهَوِّل يا « يزيد » ، فالأميرُ الآن إن جَنَحَ إلى عفو ورِفْق فذلك لحكمة بالغة . حَسْبُ الناس ما عرفوا من صرامة الأمير وحَزْمه ، فهم الآن أحوَجُ ما يكونون إلى سياسة تلتئم بها الصُّدوع ، وتَسْكُن النفوس .

الأهوازية : ماذا أنتَ طالبٌ إلى الأمير يا « يزيد » ؟ أما لِحُكْمِ السيف من آخر ؟ دَعُوا الأميرَ يَهْدَأْ قليلا ، فقد أجهدتموه طويلا ... آن أن تجنِّبوه إراقةَ الدماء !

يزيد : الأمير يوطِّد مُلْكاً ، ويقيم دعائم دولة . والناس مَرَدَة عُصاة ، لا تَرْدَعُهم إلَّا هَيْبةُ السيف ... أينقُضُ الأمير ما بَنَى ، ويَهْدِم ما شاد ؟

الأهوازية : إن أَبَيْتُم رِفْقًا بالناس ، فلا تَأْبَوْا رِفْقًا بالأمير !

الحجاج : من ظن أن يَدِى وَهَنَتْ فقد وَهِمَ ، ومن حَسِبَ أنى أغمدتُ سيفى فقد خابَ فَأْلُه . . . إيتُونى

« بسعيدِ بنِ جُبَير » !

يزيد : الطاعةُ لأمر مولاى . . . زاده الله تأييداً .

ينصرف « يزيد » ، فتشير « الأهوازية » إلى «عنبسة» أن يلحق به ، فيهم بالمضى .

الحجاج (لعنبسة) : إلى أين يا « عَنْبَسة » ؟

«عنبسة» يمسك عن السير

الأهوازية (للحجاج) : إن « سعيدَ بنَ جُبَير » لا يَقْوَى على يدٍ خَشِنَة كيَدِ « يزيد » . وهٰذا « عنبسةُ » أرقّ من « يزيدَ » يداً ، وألطفَ مَأخَذا . فَلْيَأتِ هو « بسعيد » . . .

«الحجاج» فى غير مبالاة يأذن « لعنبسة» أن ينصرف ، فيهرول خارجاً .

الحجاج (للأهوازية) : حقًّا ما أرقَّ يدَ « عنبسة » . . . ولكنى أُوثِرُ يد « يزيدَ » فى خشونتها . . . لكأنها يدى ، ولكأنّ « يزيدَ » ابنى . . . هـذا رَيبى ،

على مذهبي نَشَأْتُه ، فلم يذهبْ جهدى معه عبثاً .

يتقلب فى مجلسه ، ثم يقول :

ألم أرغَبْ إليكِ فى إحضار الطعام ؟

الأهوازية : موعدُه لم يَحِنْ بعدُ أيها الأمير .

الحجاج : ولكنَّ بي إلى الطعام اشتهاء .

الأهوازية : لقد ألزمَني الطبيب « فُرات » ألاَّ أُقدِّم لك الطعام فى غير إبَّانه .

بهروز : ما زلتِ تقيمين وَزْناً لما يُشِير به الطبيب ... لا طَبيبَ إلا الله !

الحجاج : أيريدُ هذا الطبيب أن أُذْعِنَ لما أَمَرَ ؟ هيهات ! . . لا يَخْضَع « الحجاج » لأمرِ من أحد . . . أنا الآمرُ الناهِى دونَ مُعَقِّب !

يصيح ، وقد تملكه الغضب :

علىَّ بالطعام !

الأهوازية : أمرُكَ مُطَاع ...

تهيأ للخروج .

الحجاج (مستوقفاً لها) : أريدُ مائدةً حافلة ... سَتَشْرَكونني فيما أَطْعَم .

الأهوازية : أما أنا فلستُ بجائعة ، ولا شهوةَ عندى لطعام أو شراب .

الحجاج : متى دعوتُ أحداً إلى شيء وجبَ أن يستجيبَ .

بهروز : أنا يا مولاى خاضعٌ لك ، مجيبٌ دعوتَكَ إلى الطعام فى أىّ وقت تشاء !

الحجاج (لبهروز) : كُنْ مع « الأهوازية » ، فَأَعِنْهَا على تجهيز المائدة ، وتزويدها بمختلف الألوان ... عَجِّلا . عَجِّلا ...

« الأهوازية » و« بهروز » يمضيان معاً .

« الحجاج » وحده يعنى بإصلاح شأنه ، فيدهن ويتطيب .

يقع بصره على المصحف ، فيتناوله ، ويعنو له بقبله .

تسمع صلصلة السيوف ، وخفقات الأقدام .
«الحجاج» يرفع رأسه عن المصحف ، وهو يتمتم :

هٰذا «سَعِيدُ بنُ جُبَيْر» ... هذا «سَعيد بنُ جُبَيْر» !

يتطلع إلى السماء ، قائلا فى ضراعة :

اللهم أَرِنِى الغَىَّ غيًّا فأجتنبَه ، وأَرِنِى الحقَّ حَقًّا فَأَتَّبِعَه . . . اللهم لا تَكِلْنِى إلى نفسى ، فأَضِلَّ ضلالاً بعيداً !

« الأهوازية » و « بهروز » يعودان ، ومن خلفهما بعض الأتباع يحملون صينية الطعام .
يقبل الطبيب « فرات » عابس الوجه .
«الحجاج» يلمح الطبيب ، فيقول له :

إيهٍ « فُراتُ » . . . قَدِمْتَ تراقبنى فى كلِّ لقمة أرفعُها إلى فمى !

فرات : ما بَغَيْتُ لمولاى الأمير إلا الخير .

الحجاج : بل إنك لتبغِى أن تتحكَّمَ فى مأكلى ومشرَبى ، فتشعُرَ فى قرارة نفسك براحةٍ واستمتاع . أردتَ

أن يكون لك أمرٌ على « الحجاج » !

يتضاحك فى بشاعة :

اسمعْ ما أنا قائلٌ لك . . . لن أَقْرَبَ لك دواءً . . . لن أَقْبَلَ منك نُصْحاً . . . فابتغِ بطبِّك أحداً غيرى . . . سأستلهمُ نفسى ، وأستهدِى عقلى ، فيما يُسْبِغُ علىَّ عافيتى .

يقول للأتباع :

قَرِّبُوا الطعام !

يضعون الصينية بين يديه .

يدخل حرسى .

الحَرَسِىّ : « سَعِيدُ بنُ جُبَيْر » بالبابِ يا مولاى

الحجاج (وهو يقلب نظره فى الصينية) : هنا مائدةٌ للطعام تَحْتَفِى بالآكلين . . .

يشير إلى بهرة البهو ، قائلا :

وثَمَّةَ مائدة أخرى للقضاء تحتفِى بالجُنَاةِ الآثِمِين !

الأهوازية (متلطفة) : عَسَى أن يكونَ استمتاعُ الأمير بطعامه باعثاً له على حكمٍ لا يَحْرِمُ الجانِيَ مُتْعَةَ الطعام !

الحجاج : ما دار بخَلَدِى أَن أَحْرِمَ الطعامَ أحداً ، جانياً كان أو بريئاً ! . . . ألستُ أُطْعِمُ الناس على موائدى ألوفاً كلَّ يوم ؟

يشير إلى « الأهوازية » والطبيب « فرات » فيأخذان مجلسهما من المائدة .
يقول للحرسى :

فليدخلْ « سعيدُ بن جبير » .

ينصرف الحرسى ، ثم يعود بالرجل مصفداً تقعقع سلاسله ، ومعه « يزيد » و « عنبسة » ومن حولهم الشرطيون .

ابن جُبَيْر (فى أنفة واستعلاء) : السلامُ على الأمير .

الحجاج (وهو يأكل) : على غيرِك السلامُ أيها المارق المنافق ! . . لا ريبَ أنهم أَرْجَفُوا لك أنى مُوشِكٌ أن أَهْلِكَ ، وأنك ناجٍ من يدى . . . انظرْ بعينيك

جميعاً لترى ماذا يأكل الهالكُ الذى نَعَوْهُ عشرينَ مرة . . . إنى آكُلُ لحماً طَرِيًّا يتقاطر منه الدَّسَم !

يحدق إلى الرجل ، ثم يقول :

إيهٍ أيها الفقيه الوَرِع . . . إيهٍ أيها العبدُ الصالح . . . لم نَتَلاقَ منذ دهر . . . ماذا حَجَبَك عنا ؟

ابن جُبَيْر : أحداثٌ من الزمن جَرَى بها قضاءُ الله !

الحجاج قضَى الله عليكَ أن تكون غَدُوراً كَفُوراً ، تنطوى نفسُك على أوزارٍ جِسَام .

ابن جبير : لا علمَ لك بما انطوتْ عليه نفسى ، فإن للنفوسِ رَبًّا يعلمُ أيُّها تحملُ الوِزْر ، وأيُّها تَعْمُرُ بالتقوى ؟ !

الحجاج : لولا أن الله طَمَسَ على بصيرتك ، لعرفتَ خَبِيئَةَ نفسك ، واعترفتَ بإثمك .

ابن جبير : ما تَعَدَّيْتُ لله حَدًّا ، وما جَهِلْتُ من نفسى شيئا ..

الحجاج (متضاحكا) : أُدنُ منا فاجْلِسْ لِتَطْعَمَ ، فربما تجلتْ

لك نفسُك على نحوٍ غيرِ الذى تعرف . . عند ما تمتلىء البطون ، تتغيرُ النفوس !

ابن جُبَيْر (مبتسما ساخراً) : لا أبغِى بنفسى بديلا ، فجَنِّبْنِى مائدتكَ ، إبقاءً على نفسى !

الحجاج : أواثقٌ أنتَ أن نفسَك هذه هَدَتْك إلى خير ورشاد فيما كان من خروجِكَ علينا ؟

ابن جبير : ما كَذَبَتْنِى نفسِى يوما ، وما فعلتُ ما فعلتُ بَغْيًا أو غَوَايَة .

الحجاج : أليس بَغْيًا وغَوَايَةً أن تَخْلَعَ عن عنقك بَيْعَتَيْنِ منك لأمير المؤمنين ، فتخرجَ مع الثائر المتمرِّد « عبد الرحمنِ بنِ الأشعث » ؟ألم تكنْ كافراً فى خروجك هٰذا علينا ؟

ابن جُبَيْر : ما كفرتُ بالله منذُ آمنتُ به .

الحجاج (متضاحكا وهو يأكل) : ما زلتَ تأبَى على نفسك

الإقرارَ بالكفر ... فليكنْ ما أردتَ . . . ولكن
تعالَ إلىَّ نخذْ نصيبك من الطعام معى . . يا طالما
كنتَ تُؤَاكِلُنى فى سوالف العهود .

ابن جُبَيْر : لغيرِ هذا جِئ بى إليكَ أيها الأمير ، فاقضِ
ما أنتَ قاض ، وكَفَى ما عانيتُ من انتظار .

الحجاج : رُوَيْدَك . . . فيمَ التعجُّل ؟

ابن جبير : أَلاَ أتعجَّلُ لقاءَ ربى ؟

الحجاج : ومن أدراك أنى قاتِلُك ؟

ابن جبير : ذلك ما أرجو أن يكونَ على يديك .

الحجاج : ولماذا ترجو أن أقتُلَك ؟

ابن جبير : لأمرين اثنين ليس فيهما ريْب .

الحجاج : ألا تُخْبِرُنى أىّ أمرين هما ؟

ابن جبير : أما أولُهما فأن تحمِلَ وِزْرَ قتلى ، فتزدادَ به إلى
أوزارك عند الله المنتقم الجبَّار !

الحجاج (متضاحكا) : وثانى الأمرين أيها الفقيه السَّفِيه ؟

ابن جُبَيْر : أن أدخلَ الجنةَ شهيداً ... فإن من قَتَلَه « الحجاج » كان عند الله من الشهداء !

الحجاج (وقد أمسك عن الأكل ، يغمغم) : أَعادَ إليك من الدار الآخرة عائدٌ فَأَخْبَرَكَ بما تقول ؟... مهما يكنْ من رأيك ، فلا عليك أن تَشْرَكَنى فى الطعام قبل أن تُرَدَّ إلى عالِمِ الغيب والشهادة .

ابن جبير : أما تنتهى عن عادتك يا « حجاج » ؟ هٰكذا أنتَ منذ خَبَرْتُكَ ، تُعابث من يقعون فى أَسْرِكَ قبل أن تَقْضِىَ فيهم قضاءك ، كالهِرِّ اللئيم يعابث فريسته قبل أن يُنْشِبَ فيها مخالبَه . إنما تبغى تعذيباً ، وتطلُب لهوًا !

الحجاج : أفى جلوسِك إلى مائدتى تعذيب لك ، أو لَهْوٌ لى ؟

عَنْبَسة : هٰذا والله مَحْضُ الحفاوة والملاطفة والإيناس !

يزيد : ليس « ابنُ جُبير » أهلاً لهذه المَكْرُمات .

ابن جبير (صائحاً ، « للحجاج ») : مُرْ بقتلى !

الحجاج : لا أرضَى أن يأمرَنِى أحد بشىء ، حتى أَنْ يأمُرَنى بقتلِه . . . ذلك لى وحدى !

ابن جبير : ألستَ لهذا طَلَبْتَنِى ودعوتَنِى ؟

الحجاج : إنى لَأُوثر أن تُزَفَّ إلى قبرك عامرَ البطن بألوان الطعام . . . حتى تَعْظُمَ بك حفاوةُ الدُّود !

يتضاحك ، فتشاركه حاشيته فى الضحك

عنبسة (لابن جبير) : ما عَهِدتُ الأميرَ يَشْمَلُ أحداً بهذا الحِلْمِ الذى يشملك به . فلا تتمادَ فى عنادك ، واجلس إلى المائدة معه ، فربما كانت لُقَيْمَة فيها نجاتُك !

ابن جبير : ومَنْ أنبأك أنى على النجاةِ حريص ؟ لقد سئمتُ العيشَ نفسى !

يزيد : إذن فلماذا كنتَ أيها الزاهد السَّؤوم تَذْرَعُ

جوانبَ الأرض ، مستخفياً عن العيون ، هارباً من الطَّلَب ؟ أَبَعَثَك على هذا حبُّ الفناء أم حبُّ البقاء ؟!

ابن جُبَيْر : قضاءٌ أراده لنا الله ، فما لنا عنه مَحِيص .

يزيد (محتداً) : إذا عَدِمَ الجانى سبيلاً إلى مَعْذِرة ، تعلَّق بإرادة اللهِ ، يُلْقِى عندها أحمالَه ! . . .

« الأهوازية » تميل على الطبيب « فرات » ويجرى بينهما سرار .

الأهوازية (للحجاج) : ألا يأذَنُ الأميرُ بإرجاء الفصل فى شأن هذا الرجل إلى غَدٍ؟ ليس هذا حِينَ محاكمة وقضاء !

فرات : إن هذه المجادَلاتِ عَجْلَبةٌ لسوء الهضم .

الحجاج : بل إنها لتعيننى على أن أَهْضِمَ طعامى . . . أنا أَعْرَفُ منكَ بنفسى !

يقول « ليزيد » :

تكلَّمْ يا « يزيد » . . .

يزيد : ماذا أقول فى رجلٍ نَقَضَ من البَيْعة ما نَقَضَ ، وأنكَر من جميلك ما أنكر ؟

الحجاج (لابن جبير) : ما قولُك فيما رماكَ به « يزيدُ » ؟

ابن جُبَير : إنه كاتبُك ، تُلَقِّنُه فيَصْدَع ، وتُمْلِى عليه فيقول !

عنبسة : حتى متى تَلِجُّ فى إصرارِكَ يا « بْن جبير » ؟ . . أَقِرَّ للأمير بأنك أَثِمْتَ ، واستنكِرْ فَعْلَتَك التى فَعَلْتَ . . . فإن الأمير جانحٌ إلى عفو ومغفرة .

ابن جبير : لا أسألُ غيرَ الله عفواً ، ولا أُشْرِكُ بخشية الله أحداً .

يزيد : ماذا نرتقب من رجل نَكَثَ البَيْعة ، وفارَق الجماعة ، وأَوْغَلَ فى الفتنة ؟ ماذا نرتقبُ من رجلٍ جَحَد فَضْلَ الأمير عليه ، وبِرَّه به . لقد جعله فى « الكُوفة » إماماً ، وأشار على قاضى المدينة ألَّا يَقْطَعَ أمراً من دونه . . . وكان يعطيه الألوفَ من

الدراهم يُفرِّقُها فى أهل الحاجة لا يسألُه عن شىء منها . فكفَرَ بذلك كله ، وتنكَّر للأمير ، وخَرَجَ مع العُصَاة الثائرين .

يقول « لابن جبير » :

يمينًا لو كانت لك مِائَةُ نفسٍ لوجبَ أن تُقْتَلَ بعددها جميعا !

ابن جُبَير (صائحاً مهتاجاً) : أما والذى نفسى بيده لو أنَّ لك ولسيدك عددَ الحَصى والرِّمال نفوسًا تَصْطَلى عذابَ الجحيم ، لَمَا أَغْنَتْ فى التكفير عما أسأتُما إلى خَلْق الله !

الحجاج (صائحاً ، وقد نفد صبره ، وعاودته حدته) : أَخْرِجُوه . . . أَخْرِجُوا الفاسقَ ابنَ الفاسقة !

ابن جُبَيْر : ستعلَمُ بين يَدَى الله أنكَ أنتَ الفاسقُ الأَكبر !

الحجاج (وقد انتفض غضبا) : اِضرِبُوا عُنُقَه ... اِضربوا عُنُقَه !

الأحراس يشدون على « ابن جبير » فيخرجون به ، وقد تبعهم « يزيد » لإنفاذ أمر « الحجاج » .
فترة صمت مرهوب .
« بهروز » يعجل إلى الباب متطلعاً فى اهتياج .

صوت صائح: الله أكبر . . . الله أكبر !

يسمع وقع سيف

بهروز (ممعناً فى التطلع مذعوراً) : يا لَدَمِه الدافق ! ... ما رأيتُ قتيلاً يَشْخُب دمُه كما رأيتُ الساعةَ !

الحجاج (وقد غص بريقه) : جُرْعةَ ماء . . . جُرْعةَ ماء . . .

فُرات (وهو يحمل إليه كوبا) : ماذا بكَ أيها الأَمير ؟

الحجاج : ليس بى شىء . . . فلنستأنفْ غَدَاءنَا .

يحاول أن يأكل فلا يطيق .

الأَهوازية : ما كانَ لك أن تمارسَ شأنًا يثير ثائرتَك ، وأنت بين يَدَى الطعام !

الحجاج (ساهماً ، مهموماً) : قُتِلَ « ابنُ جُبَيْر » . . . ما قَتَلَه إلا « يزيد » !

يريد أن يتمالك .

يقول لمن حوله مهزول الصوت :

ما لكم فى وُجُوم ؟ أَصِيبُوا طعامَكم !

يصيح بهم قائلا :

قلتُ لكم اطعَمُوا . . . عليكم أن تطعَمُوا !

تبدر منه وهو فى غضبه حركة تنقلب بها الصينية ، فتزداد ثورته ، ويقول :

تفرَّقوا عنى . . . اتركُونى وحدى !

يدبر من فى البهو ، وقد حمل أحدهم صينية الطعام .

«الأهوازية» و«فرات» يتبذان مكانا قصياً .

«الحجاج» تحتبس أنفاسه ، ويظل فى مجاهدة ، فتهرع إليه «الأهوازية» و«فرات» يعنيان به.

تعاود «الحجاج» سكينة نفسه ، وتزول عنه نوبة احتباس الأنفاس .

يعلو صوت من بعيد .

الصوت : وَاغَوْثَاه . . . أَوَّاه . . . قاتَلَكُم الله من زَبَانِيَة . . .

وَاغَوْثَاه ! . . . أَوَّاه !

الحجاج : ما هٰذا ؟ . . . مَنِ الصائح ؟

«الأهوازية» تقصد إلى النافذة متطلعة

الأهوازية : مُذْنِبٌ يضربونه بالسِّياط . . .

الصوت (وهو يجأر) : رحمةً بى يا قوم . . . أكاد أَهْلِك .

الحجاج (ضائقاً بما يسمع) : نَحُّوا الرجل بعيداً . . . لا أُريدُ أن أَسمعَ له صوتًا !

«الأهوازية» تهم بالانصراف لإنفاذ ما أمر به .
«الحجاج» يستوقفها بقوله :

بل هاتُوه إلىَّ . . .

فُرات : مولاى الأمير مُجْهَد ، وكَفَى ما لَقِيَه اليومَ من عناء ، فليسترحْ وقتاً . . . وفى أعوان الأمير غَنَاء .

الحجاج (للأهوازية) : علىَّ بالرجل . . . هاتِيهِ من فورك !

«الأهوازية» ترفع يدها تستدعى شرطيا خارج البهو ، فيعجل إليها ، فتسر إليه حديثاً ، فلا يلبث أن يخرج مهرولا .
«الأهوازية» تعود إلى «الحجاج» .

فرات : كان أوْلَى أن يأخذَ مولاى قسطه من راحة وجَمام ، وأن يُسَرِّىَ عن نفسه ببعض أسبابِ الترفيه . . . ماذا فى أن يُمْتِـعَ سَمْعَه بأنغام المعازِف ، وشَدْوِ القِيـان ؟

الأهوازية (للحجاج) : لقد بعثَ إليكَ عُمَّالُكَ على الأطراف هدايا من الجوارى . . . ثَمَّةَ جَوَارٍ من « الهند » ، جَوار من « التُّرك » ، جوار من « بُخَارىٰ » و« سَمَرْقَنْدَ » .. لقد أشرفتُ على تجهيزهنَّ ، وهُنَّ طَوْعُ أمرِك . . .أفلا نَعرِضُهُنَّ عليك ؟

فرات : رَأْىٌ جِدُّ موفَّق .

الحجاج : لا داعىَ للتعجُّل ، نَعرِضُهُنَّ بعد حين .

يدخل « عنبسة » ومن ورائه الشرطى وهو يجر أعرابياً عليه أسمال ، هو ذلك الرجل الذى قدم على « الحجاج » منذ خمس سنين . . . لا يكاد الشرطى يتوسط البهو ، حتى يلقى بالأعرابى على أديم الأرض .

الأعرابى : ما أقبحَ ما تصنعون بى !

الحجاج (لعنبسة) : ما خَطْبُ هذا الرجل ؟

الأعرابى (مقتربا من «الحجاج».) : ألا تذكر صاحبَك أيها الأمير ؟
صاحبَك الذى وفَد عليك منذ خَمْس سنين ...

الحجاج : أنت « أبو المحامد » الأعرابىُّ لا مَحَالةَ !

الأعرابىّ : أنا عَيْنُه أيها الأمير . . . أنا الذى أكلتُ على مائدتك طعامَ عَشَرَةِ رجالٍ دَفْعَةً واحدة !

«الحجاج» يتطلق وجهه قليلا ، وهو يغالب ضعفه .

الحجاج : أأنتَ ؟ كيفَ حالُك !

الأعرابىّ : أسوأ حال . . . كما تَرَى !

يدور أمام «الحجاج» فتتجلى ثيابه رقاعا مهلهلة

الحجاج : مَنْ صَنَعَ بك هذا ؟

الأعرابى : لا أحدَ سِوَاكَ يا « حجّاج » !

عَنْبَسة : ألم يُسبغ الأميرُ عليكَ فضلَه ؟ ملأ بطنَك من طعام ،

وزَحَم وِفاضَك بالمتاع ، وأَجْزَلَ لك العطاء دراهمَ ودنانير . . .

الأهوازية : وهل نَسِيتَ أنه زَوَّجَه أربعاً من الحرائر ؟

الأعرابى : وهل كانتْ الكارثةُ الشَّوْمى والداهيةُ الدهياء إلا هؤلاء الحرائرَ الأربعَ ؟

الأهوازية : أربعُ نساء مختلفات يحملن الزوجَ يتقلَّبُ فى أعطاف جَنَّةِ نَعِيم !

الأعرابى : والله لقد انقلبتْ بهنَّ حياتى جحيماً تَتَلَظَّى . لقد صَبَبْنَ علىَّ الشقاء صَبًّا ، وأذقننى العذاب ألوانًا . . . لقد كنتُ منهنَّ فى جَهَنَّم يُصْلِينَنِى نارَها ، وهأنذا هاربٌ إليكم منها !

الحجاج : صف لى ما كان من أمرهنَّ معك .

الأعرابى : وهل أستطيع لأمرهنَّ وصفاً ؟ . . . ماذا كان جُرْمِى عندك أيها الأمير حتى تُلْقِىَ بى فى هذا

السَّعِير ؟ . . . لكأنى بك قد نَدِمْتَ على ما كان من إكرامك لى ، فأبيتَ إلا نقمةً منى ، فرميتَنِى بهذه الحرائر الأربع ، وقلتَ لى : تَمَلَّ مُتْعَةَ الحياة ! انظُرْ إلى ما أصابنى من تضعضع ، لِتعرِفَ أىَّ متعة تمليتُها فى الحياة بمشورتك يا « حجاج » ؟ !

الحجاج (وهو يجاهد نفسه ، خافت الصوت) : وماذا تبغِى إلينا الآن ؟

عنبسة : لعله يريد أن يمارسَ التجربةَ مرةً أخرى !

الأعرابى : فَأْلُ اللهِ لا فَأْلُك ! . . . الآنَ لا طعاماً أشتهِى ، ولا مالاً أطلبُ ، ولا نساءً أهوَى !

عنبسة : ما دونَ ذلك هَيِّن . . .

الأعرابىّ : مطلبى أعزُّ من ذلك كلِّه وأشقّ !

الحجاج : ماذا تطلبُ يا أعرابىّ ؟

الأعرابىّ : أن تحمِيَنى .

الحجاج : مِمَّنْ أَحْمِيكَ ؟

الأعرابى : من نفسى . . . من نفسى الأَمَّارة بالسوء ، تلك النفس التى جلبتْ علىَّ من المصائب ما لا يُطاق .

«الحجاج» صامت منهالك .

الأهوازية : وكيف السبيلُ إلى حمايتك من نفسك ؟

عنبسة (منظرفا) : ثَمَّةَ سبيل واحد . . . أن تُطِيحَ رأسَك شَفْرَةُ السيف !

الأعرابى (لعنبسة) : والله ما صدَقتَ فى قولك ولا بَرَرْتَ ...

يلتفت إلى « الحجاج » قائلا :

ما أَتْفَهَ أن تقتلَنى لتُرِيحَنى من نفسى وتُرِيحَ نفسى منى . القَتْلُ وسيلة العاجز ، وحيلةُ من لا حِيلةَ له . . . ماذا فى القتل من أصالة الرأى وسَعَة العقل ؟ ماذا فى القَتْل من شهامة القلب ، وكَرَم النفس ؟ وهل القتل إلا أن يُرَاقَ الدمُ على وجه الأَرض أحمرَ قانياً ؟ !

الحجاج (مهموماً منزعجاً) : الدم يُرَاقُ على الأَرضِ أحمرَ قانياً ؟!

يكاد يختنق ، فيلتمس الهواء .

فرات (« لعنبسة » ، مشيراً إلى الأعرابى) : اذهَبُوا بالرجلِ بعيداً .

الحجاج (وقد مد يده إلى قميصه يكشف عن صدره) : هواء . . .

هواء . . . افتحوا النوافذ !

يهم بأن يتخفف من ثيابه ، ولكن لايلبث أن يحس القشعريرة .

بل دَثِّرُونى . . . دثرونى !

«الأهوازية» و«فرات» يعنيان به «الحجاج» يتابع قوله :

أَوْقِدُوا المدافئ . . . البرد قارس !

يحدث نفسه هاذيا :

« سعيدُ بنُ جُبَيْر » . . . يا لَدَمِه الدافق ! . . .

« يزيدُ » جَنَى عليه . . . لم أكنْ له قاتلا !

يقبل « يزيد » فيحس « الحجاج » قدومه ، فيتنبه قليلا ، فيقول :

من ؟

يزيد : « يزيدُ بنُ أبى مُسْلِمٍ » يا مولاى . .

الحجاج (بين الصحوة والغيبوبة) : ماذا فعلتَ «بسعيد بن جُبَير» ؟

يزيد : لقد طَهَّرَ اللهُ الأَرضَ من نِفاقِهِ . . .

يصمت لحظة ، ثم يقول :

أتيتُ يا مولاى أُزُفُّ إليكَ بُشْرَى قُدُومِ الرسول

من عندِ « قُتَيْبَةَ » .

«الحجاج» تعاوده اليقظة والصحو .

الحجاج : رسول «قتيبة»؟ ... لا تؤخِّرْه عنى ... علىَّ به .

يخرج «يزيد» ثم يعود مصحوباً بالرسول أشعث أغبر فى لبوس الحرب والسفر ، وخلفه حرسى يحمل صحفة .

الرسول : سلامٌ على مولاى الأَمير .

الحجاج (واهن الصوت) : وعليكَ السلام يا رسولَ « قُتَيبة »

الرسول (صائحاً فى حماس) : جنودُ المسلمين على أبوابِ « الصين » . . .

الحجاج (مستعيداً بعض قوته) : مَرْحىٰ ... مَرْحىٰ ... جاء نصرُ اللهِ والفتح ... لَتَعْلُوَنَّ كلمةُ الله فى أرضه ... تعالَ إلىَّ يا فَتَى العرب !

الرسول يدنو من «الحجاج» فيعانقه الأمير .

الرسول : أيأذَنُ لى الأميرُ أن أرفعَ إليه هديتى ؟

الحجاج : ماذا أهْديتَ إلىّ ؟

الرسول يتناول الصحفة من الحرسى فيقدمها «للحجاج»

الرسول : هٰذه حَفْنَةٌ من تراب « الصين » أثارتها سَنَابِكُ خيلِ المسلمين !

«الحجاج» يجيل أصابعه فى الصحفة ، ثم يشم التراب .

الحجاج : يا لَعَبَقِه الزَّكِىّ . . . إنى لَأَشَمُّ فيه عَرَقَ جنود الله ! . . . ألا إنَّ جُنْدَ اللهِ هم الغالبون !

يقول « ليزيد » :

اكتُبْ من فورك إلى أمير المؤمنين ، فَزُفَّ إليه

البُشرىٰ، وأبْلِغْه نبأ ما نَجَزَ من الفتوح .

يزيد : أفْعَلُ أيها الأمير .

« الحجاج » يلتفت إلى « الأهوازية » قائلا :

للفتىٰ مكافأة وَعَدْنَاهُ إياها . . . فجهِّزى له فَتَاته ، وأكْرِمِي مَثْوَاه .

يقول « ليزيد » :

خُصُّوا العروسَين بدارٍ من أجمل دُور المدينة ، ويَسِّروا لهما رفيعَ المُتَع ، ولا تألُوهما تَنْعِيما !

يزيد : أمْرُ مولاى .

الحجاج (للرسول) : شَكَرْنَا لك بِشَارَتَك ، وحَمِدْنَا لك هِمَّتَكَ ، فامْضِ لتستريحَ من وَعْثَاء الرِّحْلة ، وأمْتِعْ نفسَك كما تَهْوَى .

الفتى يحيي « الحجاج » وهو منصرف .

« الحجاج » يراجعه ضعفه .

يميل على صحفة التراب يشمها ، ويجيل أصابعه فيها ، ثم ينظر حوله قائلا فى صوت خافت :

رُقعَة الإسلام تمتدّ وتنفسح . . . رايات المسلمين
تَخْفُق فى أقاصى الأرض . . . جاء نَصْرُ الله والفتح !

يتلبث قليلا ، ثم يقول :

ولكن ثَمَّةَ دماء . . . دماء . . يا لَلدِّماء !

تنوبه غيبوبة .
« الأهوازية » و« فرات » يتعهدانه .

عَنْبَسة (« ليزيد » ، جانباً) : ماذا بعدَ « الصين » يا « يزيد » ؟
وإلى أين يَذْهَبُ جنود المسلمين ؟

يزيد (مشيراً إلى « الحجاج ») : إذا رُزِقَتْ الدولةُ رجالا كهذا
لم يَقِفْ للفتح رَكْب ، ولم يَبْقَ لغير المسلمين فى
الأرض شِبْر . . . ولكن أين فى الناس مثلُ
« الحجاج » فى صلابته وصرامته ؟

عنبسة : حقًّا لولا أن « الحجاجَ » صُلْب صارم ما استقرتْ
الدولةُ على حال ، ولا دانَ لها أمر . ولكن لا تَنْسَ
يا « يزيدُ » أن الصلابةَ والصرامة دواء ساعة ،

فإن دام انقلبَ سُمًّا زُعَافا !

الحجاج (وقد صحا من غيبوبته هاذيا) : مالى و « لسعيدِ بن جُبَيْر » ؟ مالى و « لسعيدِ بن جُبَيْر » ؟ ما قَتَلْتُه . . . على نفسه جَنَى . . . رَحْمَتَاه يا رَبَّاه !

عنبسة (ليزيد) : أرأيتَ إلى جَبَّارِ الأرض كيف يتضرَّع ؟

يزيد : هذا ضَعْفُ المُحْتَضَرِينَ !

الحجاج (« للأهوازية » ، وهو ممسك يدها ، يهمهم) : هل عرفتُ لكِ حَقَّكِ يا « أهوازية » ؟

الأهوازية : أنتَ ذو قلب كبير !

الحجاج : ألم تَضِيق بقسوتى ؟

الأهوازية : كنتَ تُؤْثِر أن تَقْسُوَ ، لأنك كنتَ تَخْشَى أن تَرْحَمَ !

الحجاج : إذن فقد عرفتُ لكم حقوقَكم جميعًا . . . أدَّيْتُ واجبى للخلافة ، واضطلعتُ بنصيبى فى نُصْرَةِ الإسلام !

يتمدد فاقد الحراك .
الجمع يلتفون حوله خاشعين .
« الأهوازية » تنشج وتعول .
صوت الأذان يعلو من قريب .

المؤذّن : الله أكبر ! . . . الله أكبر ! . . . أشهَدُ ألاَّ إلٰهَ إلاَّ الله ، أشهَدُ ألاَّ إلٰهَ إلاَّ الله . . . أشهَدُ أن محمداً رسولُ الله ، أشهَدُ أن محمداً رسول الله . . .

ستارة الختام

BIBLIOTHEQUE ROYALE ALBERT Ier

١٦٤/ت/١٩٥١

أحدث مؤلفات

محمود تيمور

مجموعات قصصية :

كل عام وأنتم بخير
إحسان لله
خلف اللثام
شفاه غليظة
بنت الشيطان
مكتوب على الجبين
فرعون الصغير
قال الراوى
شباب وغانيات

قصص تمثيلية :

ابن جلا
فداء
اليوم خمر
حواء الخالدة
المخبأ رقم ١٣
سهاد
المنقذة
عوالى
قنابل
أبو شوشه والموكب

قصص مطولة :

كليوباترة فى خان الخليلى

سلوى فى مهب الريح

نداء المجهول

صور وخواطر :

شفاء الروح
ملامح وغضون
أبو الهول يطير
عطر ودخان
فن القصص
ضبط الكتابة العربية

The preservation photocopy
was made and hand bound at BookLab, Inc.
in compliance with copyright law. The paper,
Weyerhaeuser Cougar Opaque Natural,
meets the requirements of ANSI/NISO
Z39.48-1992 (Permanence of Paper).

Austin 1994

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE

NYU - BOBST
31142 01861 7061
PJ7864.A5 I3
Ibn Jala /